سيرة المجاهد الشهيد

عبد الهادي دغلس

تقبله الله

مع بعض خطبه المنبرية

رفيق درب

الأمير أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله-

استشهد في ١٤٢٤هـ

العاديات
ALADIYAT

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

سيرة المجاهد الشهيد

عبد الهادي دغلس

-تقبله الله-

مع بعض خطبه المنبرية

رفيق درب الأمير أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله-

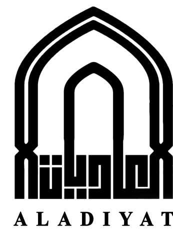
استشهد في المحرم ١٤٢٤هـ

الطبعة الأولى ١٤٤٧هـ

مركز إنتاج الأنصار



مؤسسة العاديات



المحتويات

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصرِهِ، ومُذلِّ الشركِ بقهرِهِ، ومصرِّفِ الأمورِ بأمرِه، ومستدرجِ الكافرينَ بمكرِه، الذي قدَّرَ الأيامَ دُولًا بعدلِه، وجعلَ العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

يسرُّ إخوانُكم في مؤسسةِ العادياتِ أن يقدِّموا لكم سيرةً للمجاهدِ الشَّهيدِ أبي عبيدةَ عبدِ الهادي دغلس -تقبله اللهُ تعالى- مع بعضِ الخطبِ المنبريةِ التي ألقاها في الأردن من بلادِ الشَّام، والتي تطرقَ فيها إلى مسائلَ مرتبطةٍ بعظمةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- وحكمتِهِ في خلقِه، وهذه الخطبُ هي من الأعمالِ النادرةِ له -تقبله الله-. كان أبو عبيدةَ من رفقاءِ دربِ الأميرِ أبي مصعبٍ الزرقاوي، وكان مدربًا في معسكراتِ هراة. استُشهدَ في شهرِ المحرمِ لعامِ ١٤٢٤هـ في كردستان، جراءَ قصفٍ صليبيٍّ أمريكيٍّ على المعسكر، وكان من كُناه: أبو تيسير، أبو محمدٍ الشامي، أبو عبيدة.

سيرةُ عبدِ الهادي دغلس

قصةُ الشيخِ الشهيدِ عبدِ الهادي دغلس

فارسٌ من فرسانِ الإسلامِ في هذا الزمان

الحمـدُ للهِ ربِّ العـالمينَ والعاقبـةُ للمتقينَ ولا عـدوانَ إلا على الظَّـالمين، وأشـهدُ أن لا إلـهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ، وأشـهدُ أنَّ محمـدًا عبـدُهُ ورسـولُهُ أما بعد؛

فهذهِ قصةُ شهيدٍ من أبطالِ الإسلامِ في هذا العصر، بل إنهُ أحدُ أهمِّ الأبطالِ في هذا العصر، لم يعرفهُ النَّاسُ وما ضرَّهُ في ذلك شيء، فكفى أن يعرفَهُ ربُّهُ وأن عرفتْهُ ساحاتُ الجهادِ ومواطنُ النِّزالِ -نحسبُهُ كذلكَ ولا نزكِّي على اللهِ أحدًا-.

وأنا إذ أكتبُ عن هـذا الشـهيد، فـإني أنـوِّهُ أنـهُ إن كنتُ وجـدتُ من الـوقتِ متسـعًا لما تـوقفتُ عن الكتابـةِ عنـه، واللهِ لـو قعـدتُ لأكتبَ عنـه لكتبتُ آلافَ الصَّفحاتِ ولا أكونُ قد أعطيتُهُ حقَّه.

لقـد كـان لي الشَّرفُ أن أتعرفَ على هـذا الأسـدِ المقـدامِ عن قُربٍ وأن أعملَ معه في ساحةِ الجهادِ في كردستانِ العراق، لذلكَ فإني أجدُني مُلزمًا أن أكتبَ عنــه بعضَ الصَّــفحاتِ لعلي أوفيــهِ بعضَ حقِّــه عليَّ وإن كنتُ لن أستطيعَ ولكن ما لا يدركُ جلُّهُ لا يتركُ كلُّه.

وستكونُ طريقةُ كتابتي عنه على شكلِ ذكرياتٍ عايشتُها بنفسي معه وبعضِ الأشياءِ التي قصَّها هو عليَّ أو ألقاها في حضوري وكذلك بعض ما سمعتُهُ عنه أثناءَ جهادِهِ وبعدَ مقتلِه.

لقد قاتلَ قتالَ الأبطالِ ولم يسمع بهِ أحد، وقُتِلَ قِتلةَ الشُّرفاءِ ولم يسمع بهِ أحد، كذلكَ من النادرِ بل يكادُ يُعَدُّ على أصابعِ اليدِ الواحدةِ أن تجدَ في المنتدياتِ الجهاديةِ مَن قد كتبَ عنه أو حتى مَن يعرفُه!.

لذلكَ كان واجبًا علينا أن نعرِّفَ هذهِ الأمةَ بأحدِ أبطالِها علَّهُ يخرجُ من هذهِ الأمةِ من يقتدي بهِ وبغيرِهِ ممَّن سبقونا على هذا الطريقِ فيُعيدَ لنا أمجادَهم ويسطِّرَ بدمائِهِ بطولاتِهم.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

كانت أول معرفةٍ لي بالشيخِ الشهيدِ أبي محمدٍ الشاميّ قبلَ نحوِ بضعةِ أشهرٍ من الغزوِ الصليبيِّ لبلادِ الرافدين، حيثُ هاجرتُ إلى بلادِ كردستانَ العراقِ للالتحاقِ بالمجاهدينَ في جماعةِ أنصارِ الإسلامِ في كردستان.

وبعد وصولي واجتماعي بأبي عبدِ اللهِ الشَّافعيّ أميرِ الجماعةِ آنذاك، قدَّمَ لي أبو عبدِ اللهِ الشَّافعيُّ الشيخَ أبا محمدٍ الشَّاميَّ على أنه أميرُ المجاهدينَ العربِ في كردستانَ العراقِ... ففرحتُ لهذا فرحًا شديدًا وأحببتُ التعرفَ على أبي محمدٍ أكثرَ فأكثر...

في هذهِ الفترةِ كان الإخوةُ العربُ يتوافدون علينا، ويومًا بعدَ يومٍ بدأ العددُ يزدادُ فقررَ الإخوةُ جمعَ الإخوةِ العربِ في مكانٍ واحدٍ وذلكَ لتدريبِهم وإعدادِهم إيمانيًا وعسكريًا، حيثُ إنَّ أغلبَ المهاجرينَ كانوا حديثي عهدٍ بميادينِ الجهاد...

ثمَّ نُقلنا إلى معسكرِ درجه شيخان وبقينا هناك عدة أسابيع في انتظارِ ابتداءِ الدورة...

كان أبو محمدٍ كلَّ يومٍ في جبهةٍ وكلَّ يومٍ في موقعٍ آخرَ يرابطُ هنا ويكمنُ للعدوّ هنا وهناك. وفي نهايةِ كلِّ أسبوعٍ كانَ يصطحبُ بعضَ القادةِ من أنصارِ الإسلامِ وكذلكَ بعضَ المجاهدينَ العربِ الذين قدِموا معهُ من أفغانستانَ ويأتي لزيارتنا ويبيتُ عندنا ليلةَ الجمعة.

فورَ قدومِهِ كان الجميعُ يفرحُ ويستبشرُ بهِ خيرًا.

فوالله لا يكـادُ لسـانُهُ يفـترُ عن ذكـرِ اللهِ ونصـيحةِ إخوانِـهِ وتـذكيرِهم بالشَّـهادةِ ويرغِّبُهم فيها. إذا جلسَ معكَ لا تشعرُ أبدًا أنهُ الأميرُ ولا بأنهُ أعلمُ منك، فهو يستشيرُكَ ويكلِّمُكَ ويرفعُ من شأنِكَ ويدعو لك.

إذا أحسَّ أنهُ أخطأ في حقِّ أحدِ الإخوةِ بادرَ إلى الاعتذارِ إليه، وحتى إذا لم يُخطئ كان دائمًا يطلبُ من الإخوةِ السَّماح، كان دائمًا يبتسمُ في وجهِ كلِّ من يراهُ من المجاهدين، إذا رأيتَهُ أدخلَ السرورَ على قلبِك.

كان قدومُهُ والإخوةُ معهُ كلَّ أسبوعٍ قبيلَ صلاةِ المغرب، وكنا في رمضانَ حيثُ كان الشيخُ يفطرُ معنا، ثمَّ نجلسُ نستمعُ إليهِ وهو يحكي عن تجربتِهِ في أفغانستانَ ودخولِ الأمريكانِ ويستخلصُ من ذلكَ العبرَ والدروس، كان أبو محمدٍ يشركُ جميعَ المجاهدينَ في الحديثِ كبيرَهم وصغيرَهم.

كنـا دائمًـا نجلسُ على شـكلِ حلقـةٍ كبـيرة، فكـان يطلب من الجميـعِ المشـاركة ويطلب من كـلِّ أخٍ أن يقـولَ آيـةً أو حـديثًا أو نشـيدًا يحرِّضُ بـه نفسَهُ وإخوانَهُ على الجهادِ والشَّهادة.

من ضـمنِ مـا عرفتُهُ عن تجربتِهِ في أفغانسـتانَ أنـه كـان مع إخوانـهِ ومع الشيخِ المجاهدِ أبِي مصعبٍ الزرقاويِّ في معسكرِ هراة، وكانوا يعدون ويرابطون هنـاك حتى وقعت غزوتا نيويـورك وواشنطن، ودخـل الأمريكـانُ وجـاء الأمـرُ بالانسحابِ إلى قندهارَ ومن ثمَّ إلى خارجِ أفغانستان.

فبعد انسحابِ الإخوةِ من هراة، ذهبوا إلى قندهارَ على أساسِ الدِّفاعِ عنها وعدمِ السَّماحِ للأمريكانِ بدخولِها، وبقي الإخوةُ هناك فيها فترةً من الزَّمن.

وقد سمعتُ من أبي محمدٍ قصةَ مقتلِ الشيخِ أبي حفصٍ المصريّ والإخوةِ معه؛ فكان مما قال أنهُ بعد قصفِ المنزلِ الذي كان يتواجدُ فيه الشيخُ أَبُو حفصٍ -رحمه الله- وعددٌ من الإخوةِ، أخذ الإخوةُ يبحثون عن الشهداءِ بين الأنقاض. يقول الشيخُ أبو محمد أنهم -رحمهم الله- قد قضوا وهم يصلون، فأخرجوهم وقد قُتلوا أثناء صلاتِهم فمنهم من قُتل وهو رافعٌ يديه يدعو اللهَ متضرعًا، ومنهم من قُتل أثناء سجودِه إلى آخره. يقول: (فأخرجنا الإخوةَ إلا أحدَ الإخوةِ من اليمن، لم نجدهُ وظللنا نبحثُ عنه ثلاثةَ أيام، في تلك الفترةِ وفي أولِ يومٍ أتى أفغانيٌّ ومرَّ بنا وتوقف ينظرُ قليلًا ثم ذهب، وفعل في يومِهِ الثاني كما فعل في اليومِ الأول. وفي اليومِ الثالثِ أشار علينا أن نحفرَ في مكانٍ لم نكن قد حفرنا فيه، فحفرنا فإذا بنا نجدُ الشهيد!. فتعجبنا من ذلك فقلنا له: كيف عرفتَ مكانَه؟!، قال: في كل يومٍ هو يأتيني في منامي ويبيّنُ لي مكانَه، ويقولُ لي: أن أُرشدَكُم لمكانِه).

ومن القصصِ أيضًا قصةُ خروجِهم إلى باكستانَ ومن ثمَّ إلى إيران؛ فقد حكى أبو محمدٍ أنهم عندما خرجوا من أفغانستانَ إلى باكستانَ كان عليهمُ التخفي خشيةَ الجواسيسِ والعملاء. ذهبوا إلى بيتِ أحدِ الباكستانيينَ يطلبون منه المُكثَ عنده حتى يرتاحوا، وهم يدعون اللهَ أن يكونَ مسلمًا تقيًّا فلا يُسلِّمَهم. طرقوا بابَهُ وقالوا له: (نحن عربٌ مسلمون مجاهدون)،

ففـرح بهم وأدخلهم. ثم أخـذهم إلى غرفـةٍ تحت الأرضِ خـارجَ المنزلِ وأغلـق عليهمُ الباب، تملَّك بعضَ الإخوةِ الشك. وما هي إلا ساعاتٌ وبعد حلولِ الليـلِ إذا بالباكسـتانيّ يفتحُ البـابَ ويـدخلُ ومعـه نصـفُ خـروفٍ مشـوي، أدخله ثم خرج وأغلق البابَ وأفهمهم أن ذلك لأمنِهم. وفي اليومِ التالي، إذا به يأتي ومعه النصفُ الثاني من الخروفِ عندها أشفق الإخوةُ عليه لأنه فقيرٌ معدم، وعزموا على الرحيلِ استحياءً منه، أرادوا أن يعطوه المالَ فأبى، بل أراد هو أن يعطِيَهم، فشكروه ورحلوا.

خرج الإخوةُ بعدها إلى إيرانَ وهناك اعتُقلوا من قِبلِ حرسِ الثَّورة، ولكن ما لبثوا إلا أن أُفرِجَ عنهم بعد فترة.

رحل أبو محمدٍ ومن معه بعدها إلى كردستانِ العراقِ والتحقوا بالمجاهدينَ في جماعةِ أنصارِ الإسلام.

كـانت هـذه قصـةَ خـروجِ أبي محمـدٍ ومن معـه من أفغانسـتانَ والتحـاقِهم بالإخوةِ في أنصارِ الإسلامِ في كردستانِ العراق.

في أواخـرِ شـهرِ رمضـانَ وقعت معركـةُ تبـةِ كـرة وقـردة دروزنـة، وكـان أبـو محمـدٍ من القـادةِ المشـاركينَ فيهـا ومعـهُ إخوانـهُ العـربُ الـذين أتـوا معـهُ من أفغانستان، وفي هذه المعركةِ أبلى أبو محمدٍ ومن معهُ بلاءً حسنًا، وأثخنَ في أعـداءِ الله، وكـان من أوائـلِ المقتحِمينَ على تبـةِ كـرة بعـد سيطرةِ المجاهـدينَ على قردة دروزنة.

وبعد سيطرةِ المجاهدينَ على التبتين، قامَ العدوُّ بقصفِ المنطقةِ بالصواريخِ البعيدةِ المدى. ولم يكن عند المجاهدينَ العددُ الكافي لإكمالِ الفتحِ والتقدمِ على مواقعِ العدو.

قُتلَ من المجاهدينَ في الاقتحامِ ٤، وأثناءَ القصفِ ١١، وقُتلَ من قواتِ البشمركةِ المرتدةِ ما يزيدُ عن ١١٠ مرتدين، بعدها اضطرَّ المجاهدونَ إلى الانحياز.

قُتلَ في هذه العمليةِ ٢ من الإخوةِ الذين أتوا مع أبي محمدٍ من أفغانستان؛ وهما أبو يحيى الشاميُّ وأبو عبدِ اللهِ الشامي، كما استُشهدَ في هذه المعركةِ الأخُ البتارُ من الجزيرة، نسألُ اللهَ أن يتقبَّلَهم وأن يُلحقَنا بهم.

بعد الانحيازِ خطبَ أبو محمدٍ في المجاهدينَ في مسجدِ سيطرةِ قلب خطبة العيد، وبيَّنَ لهم أنَّ النصرَ من عندِ اللهِ وأنَّ الأسبابَ كلَّها بيدِ الله، وأنَّ المجاهدينَ ما عليهم إلا أن يعملوا ويجاهدوا والنتائجُ من عندِ الله، وأنَّ المجاهدَ عليه أن يكونَ مع ربِّهِ دائمًا في جميعِ أحوالِه، وأنَّ ما يصيبُ المجاهدَ من القرحِ أو الهزيمةِ فهو بسببِ الذُّنوبِ أو الابتلاء، وحثَّ المجاهدينَ على الصَّبرِ والمثابرةِ والتَّوبةِ وعدمِ اللغوِ وأن يكونوا مع ربِّهم وكتابِ ربِّهم دائمًا، وكانت لكلماتِ الشيخِ أبي محمدٍ بالغُ الأثرِ في نفوسِ المجاهدين.

بعد هذه المعركةِ شاركَ أبو محمدٍ في كثيرٍ من الكمائنِ والتجهيزاتِ ضدَّ العدوِّ وكان جُلُّ وقتِهِ يقضيهِ بين الإعدادِ والتخطيطِ أو الإرشادِ والتحريض.

قبل معركةِ دروزنة تمَّ نقلُ المجاهدينَ العربِ الجددِ إلى معسكرِ باخاكون نظرًا لازديادِ عددِهم، ووُضعَ لهم برنامجٌ صغيرٌ ريثما تبدأ الدورةُ التدريبية.

وهناك أيضًا كان الشيخُ أبو محمدٍ يأتي لزيارتِنا يحفِّزُنا ويحرِّضُنا على الجهادِ والصَّبرِ على هذا الطريقِ.

بعد المعركةِ تمَّ قصفُ المعسكرِ من قِبلِ قواتِ البشمركةِ بالمدفعيةِ والصواريخِ التي أهدتها الحكومةُ التركيةُ لهم، انحزنا إلى الجبلِ وتمَّ نقلُنا بعدها إلى معسكرِ درجه شيخان مرةً أخرى حيث بدأتِ الدورةُ وكانت شديدةً على الإخوةِ؛ وذلك بسببِ حداثةِ عهدِهم بالجهاد.

كانت الدورةُ تتوقفُ من ظهرِ يومِ الخميسِ حتى مساءِ الجمعةِ وذلك للراحة، كان أبو محمدٍ يأتيني ومعه بعضُ الإخوةِ العربِ والأكرادِ من القادةِ والمجاهدينَ قبل غروبِ شمسِ يومِ الخميسِ ويبيتون عندنا ثم ينصرفون صباحَ يومِ الجمعة.

كان جميعُ الإخوةِ ينتظرون قدومَ أبي محمدٍ ومن معهُ انتظارَ الأمِّ لوليدِها بل انتظارَ الابنِ لأبيه، كنا جميعًا نشتاقُ لرؤيتِه. وقبل قدومِهِ كان المعسكرُ يتحولُ إلى خليةِ نحلٍ فهذا يُعدُّ طعامًا وذلك يُرتبُ المكانَ وآخرُ يجلسُ يرتقبُ قدومَ الشيخِ ومن معه.

نعم، لقد ملكَ أبو محمدٍ قلوبَ المجاهدين، وما ملكها واللهِ إلا بتقواهُ وشجاعتِهِ وإقدامِهِ وصبرِهِ وأدبِهِ مع إخوانِهِ، نحسبُهُ كذلك ولا نزكِّي على اللهِ أحدًا.

في تلك الليلةِ -ليلةِ الجمعةِ- لم يكن أحدٌ من الإخوةِ يذهبُ للنوم، رغم تعبِ التدريبِ وإرهاقِهِ لمدةِ أسبوعٍ كامل، ولكن أنّى للنومِ أن يأتيَ وقد حلَّ علينا رجلٌ يذكِّرُنا بالله، نرى فيه ذكرى الشُّهداءِ والأبطالِ والصالحين، ممن كنا لا نسمعُ عنهم إلا في كتبِ التاريخِ وقصصِ الشُّهداء. وها نحن اليومَ نراهُ أمامنا يجلسُ بيننا يحدِّثُنا ونحدثُه. كان الأخُ منا يتمنى دعوةً من فمِ أبي محمدٍ أن يرزقَهُ اللهُ الشَّهادةَ في سبيلِهِ مقبلًا غيرَ مدبر، فيطيرُ فرحًا واستبشارًا بها.

فهذا أخٌ يدعو له الشيخ: (يا فلان أسألُ اللهَ أن تأتيَكَ قذيفةٌ لا تُبقي منكَ شيئًا). وذاك يدعو له فيقولُ له: (رزقكَ اللهُ بشظيةٍ أو برصاصةٍ في جبهتِكَ تطيرُ بها إلى الجنة).

وكنتُ كثيرًا ما أسأَلُهُ الدعاءَ بمثلِ هذا فيقول: (يا فلان يا خوي، إن شاءَ اللهُ أنت ستدكُّ أسوارَ البيتِ الأبيضِ بالهاونِ ٨٢) فكنتُ أفرحُ بهذه الدعوةِ وإن كنتُ أرجو أن يجمعَ لي بين الدعاءينِ ولكن في كُلٍّ خير.

كنا نجلسُ طوالَ الليلِ نتحدثُ عن الشُّهداءِ وأخبارِ الجهادِ ونحثُّ بعضَنا بعضًا على مواصلةِ الطريق.

ومن ضمن الأشياءِ التي كان الشيخُ أبو محمدٍ يركِّزُ عليها شيئان:

أولًا: إخلاصُ النيةِ للهِ تعالى.

وثانيًا: التحذيرُ من الوقوعِ في الأسر.

حيث كان أبو محمدٍ يؤكِّدُ على فتنةِ الأسر، وأنها فتنةٌ عظيمة. وكان يقولُ إنَّ على كلِّ مجاهدٍ أن يتركَ قنبلةً أو مخزنَ رصاصٍ ممتلئًا لا يستخدمُها، حتى إذا أثخنتْهُ الجراحُ ولم يستطع الانحيازَ أو أحاطَ به أعداءُ الله، يُصيبُ فيهم مقتلةً ويُقتَلُ، أو ينزعُ صمامَ أمانِ القنبلةِ ويفجِّرُها في نفسِهِ وفيهم.

أما عن صلاتِهِ، فكان كلما صلَّى نافلةً أو فرضًا، فردًا أو جماعة، يدعو على الكافرين وبأن ينصرَ اللهُ المجاهدينَ ويفكَّ أسرَ المأسورين، وكان مما يدعو به: (اللهمَّ عليكَ بحكامِ العربِ والعجمِ فإنهم لا يعجزونَك، اللهمَّ عليكَ ببرويز مشرف وجلال طالباني وكوسرت -قائدِ قواتِ البشمركة- فإنهم لا يعجزونَك) وكان يلحُّ في ذلك ويبكي ويُبكي مَن خلفَه.

اتخذَ أبو محمدٍ لنفسِهِ ومعه أحدُ الإخوةِ بيتًا في منطقة بيارة كان يسكنُ فيه ويستقبلُ فيه ضيوفَهُ الذين كانوا يأتونَهُ من الخارج، ومنه كان يخططُ ويكيدُ لأعداءِ الله...

وكنتُ كلما ذهبتُ لزيارتِهِ يكرمني، ثم إذا حانَ موعدُ ذهابي جهَّزني ببعضِ العتادِ من ذخيرةٍ وغيرِه...

وبعد قدومِ ياسين البحر فرحَ به أبو محمدٍ فرحًا شديدًا، وبدأوا في التخطيطِ والتجهيزِ للعدوِّ والتحضيرِ لقدومِ الأمريكان.. حيث بدأ الإخوةُ في تجهيزِ وادي دلمر لاستقبالِ جحافلِ الصليبيينَ والمرتدين، حيث إنَّ المنطقةَ التي كان الإخوةُ في أنصارِ الإسلامِ يسيطرون عليها لا تتعدى ١٥ كم ولذلك فإنَّ مجالَ المناورةِ كان محدودًا للغاية.

كان أبو محمدٍ دائمًا مستعدًا لقتالِ أعداءِ الله، وكان ينامُ حتى في بيتِهِ بجعبتِهِ وذخيرتِهِ وبجانبِهِ سلاحُه.

وعندما قدَّمَ المجرمُ كولن باول تقريرَهُ إلى الأممِ الملحدة، قدَّم صورًا لبعضِ الإخوةِ المشتبه في وجودِهم في مناطقِ أنصارِ الإسلامِ منهم الشيخُ المجاهدُ أبو مصعبٍ الزرقاويُّ وغيرُه، وكانت صورةُ أبي محمدٍ من بينِ الصورِ وقد كُتبت كنيتُهُ في أفغانستان: أبو تيسير تحتها.

لم يعبأ أبو محمدٍ لهذا، وكان يرددُ ويقولُ للإخوة: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)} [آل عمران].

ومع بدايةِ الحربِ الصليبيةِ على العراقِ، قصفَ عبادُ الصليبِ مواقعَ الإخوةِ والقرى التي يسيطرون عليها قصفًا شديدًا وثبتَ المجاهدونَ في وادي دلمر، وكان ممن ثبتَ أبو محمدٍ ومن معه، حيث تعاهدَ مع مجموعتِهِ على الموتِ وقاتلوا حتى قُتلوا.

يقول الشيخُ أبو مصعبٍ الزرقاويُّ حاكيًا عن تلك اللحظات: (فيومَ أنِ اضطرَّ المجاهدونَ إلى أن يُخلوا مواقعَهم نتيجةً للقصفِ الشديدِ والمتواصلِ أبى أن يرجعَ وتبايعَ على الموتِ هو وثلةٌ من إخوانِهِ).

وقال الشيخُ أبو مصعبٍ أيضًا عنه: (الأخُ الحبيب، الغالي الشهيدُ الحيُّ أبو عبيدةَ عبدُ الهادي دغلس، فواللهِ ما رزئتُ بمصيبةٍ بعد أن هداني اللهُ بمثلِ فقدي هذا الأخ، هذا الأخَ الذي كنتُ أستصغرُ نفسي أمامَهُ لفرطِ

شـجاعتِهِ وإقدامِـهِ وصـبرِهِ وحسـنِ خلقِـه، فعلى مثـلِ عبـدِ الهادي فلتبـكِ العيون).

إذا كـان هـذا قـولَ الشيخِ أبي مصعبٍ الزرقـاويِّ في هـذا البطـلِ فمـا بالُنـا نحن!، وإذا كـان الشيخُ أبـو مصعبٍ يستصغرُ نفسَـهُ أمـام هـذا البطـلِ بـرغمِ جهادِهِ فما بالُنا نحن!.

رحمكَ اللهُ يا أبا محمدٍ ورزقـكَ الفـردوسَ الأعلى وجمعنـا وإياكَ في مسـتقرِّ رحمتِهِ إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

واللهِ لئن قلنا لنصدُقَنَّ ولئن استُشهدنا لنشـهدَنَّ أنكَ كنت للحقِّ سيفًا وفي الجهـادِ بطلًا وبأنـكَ كنت شـديدًا على الكفـارِ والمرتـدينَ رحيمًـا على إخوانِك، تألمُ لألمِ المسلمينَ وتفرحُ لفرحِهم.

فواللهِ لقـد كنت سـيفًا من سـيوفِ اللهِ في هـذا الزمـان، نسـألُ اللهَ أن يرحَمَكَ وإخوانَكَ ويرزقَكَ الفردوسَ الأعلى، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

أمـا أنتَ شيخَنا أبا مصعبٍ، الله الله في دينِ الله، أذِقِ الكـافرينَ الـويلاتِ واسقِهم من كؤوسِ الموتِ ألوانًا.

ولنـا عندكَ رجاءٌ ألا وهـو: بـدءُ غزوةٍ ضدَّ الأمريكـانِ والبشمركةِ في بيارة ومـا حولها إن أمكن وإن لم يمكن ففي أيِّ مكـانٍ في العـراق، تُسـمي هـذه الغـزوةَ باسـم (الشيخِ عبـدِ الهادي دغلس أبي محمـد) وعليكم بـرأسِ الكفـرِ جلال طالباني وكوسرت فإنَّ الشيخَ أبا محمدٍ كان يتمنى ذلك.

واقتح بابَ الجهادِ فواللهِ إنَّ نفوسَنا تشتاقُ للحاقِ بكم ولا نجدُ لذلك سبيلًا.

كتبَهُ:

المعتزُّ باللهِ

غريبُ الدِّيارِ (تلميذُ أبي محمدٍ الشاميِّ)

قال الزرقاويُّ -تقبله الله- عنه في كلمةِ (الْحَقْ بِالقافِلة):

وإن كنتُ أنسى، فلا أنسى في هذا المقامِ إخوانَنا الشهداءَ -رحمهمُ اللهُ-، الذين كانوا معنا في السَّراءِ والضَّراء، وصبروا معنا على لأواءِ الطريق، وعلى رأسِهم الأخُ الحبيبُ الغالي الشهيدُ الحيُّ -نحسبُهُ كذلك واللهُ حسيبُه- أبو عبيدةَ عبدُ الهادي دغلس؛ فواللهِ ما رزئتُ بمصيبةٍ -بعد أن هداني الله- بمثلِ فقدِ هذا الأخ، هذا الأخِ الذي كنتُ أستصغرُ نفسي أمامَه؛ لفرطِ شجاعتِهِ وإقدامِهِ، وصبرِهِ وحسنِ خلقِه، فعلى مثلِ عبدِ الهادي فلتبكِ العيون، فعلى مثلِ عبدِ الهادي فلتبكِ العيون

فكلما تذكرتُهُ تذكرتُ حديثَ النبيِّ -عليه الصلاةُ والسلام- الذي رواه أحمدُ وابنُ حبان، عن ابنِ مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: "عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلَيْنِ، -وذكر منهما-: رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الانْهِزَامِ وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرجَعَ حَتَّى يُهرِيقَ دَمَهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ: {انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَجَاءً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ}"، فيومَ أنِ اضطرَّ المجاهدونَ إلى أن يُخْلُوا مواقعَهم نتيجةَ القصفِ الشديدِ والمتواصلِ أبى أن يرجع، وتبايعَ على الموتِ -هو وثلةٌ من إخوانِه- وانغمسوا في العدوِّ نسألُ اللهَ أن يتقبلَهم.

فواللهِ لقد كان جبلًا من الجبال، وأسدًا من الأسود، وعابدًا من العبادِ، وزاهدًا من الزُّهاد، ترى الصلاحَ في وجهِه، مسعّرَ حربٍ لو كان معهُ رجال، لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائم، شديدًا على أعداءِ اللهِ، رحيمًا وبرًّا بإخوانِه.

رحمكَ اللهُ يا عبـدَ الهادي رحمةً واسـعة، لقـد كنتَ -واللهِ- الأخَ الحبيبَ والصديقَ الشفيق، وكنتَ السمعَ والبصر، فواللهِ إنَّ مكانَكَ ما زال شاغرًا، لا يستطيعُ أن يملأَهُ أحد، وبفقدِكَ فقدتُ عضوًا من أعضائي، وإن كنتُ أنسى فلن أنسى ذلك اليومَ الذي قلتَ لي فيه: "إني لأدعو لكَ أكثرَ مما أدعو لوالدي"، فأيُّ خسارةٍ بعد هذه الخسارة؟ وأيُّ رزيةٍ بعد هذه الرزية؟ فقدتُكَ في وقتٍ كنتُ أحوجَ ما أكونُ إليكَ فيه.

قال عنهُ أَبُو جعفرٍ الأنصاريُّ في (الزرقاويُّ كما صحبتُه):

أما رفيقُ دربِهِ عبدُ الهادي دغلس، فحدِّث ولا حرجَ عن حبِّ الشيخِ لهُ وعميقِ مكانتِهِ في نفسِه، وقد سألتُ الأخَ أَبَا أسامةَ الغريبَ عن الأخِ عبدِ الهادي دغلس، فقلتُ له: (لماذا الشيخُ أبو مصعبٍ يحبُّ الأخَ عبدَ الهادي دغلس -تقبَّلَهُ اللهُ- حبًّا عجيبًا؟)، فقال لي: (هذا الأخُ لم أرَ مثلَهُ في حياتي)، فسألتُهُ كيف؟ فأجابني متأثرًا: (في أحدِ الأيام، وعندما كنا في شمالِ العراقِ مع أنصارِ الإسلام، وكان عمري أربعَ عشرةَ سنةً؛ كان الأخُ عبدُ الهادي يعطينا درسًا، وخلال المحاضرةِ كنتُ أترجمُ الكلامَ لبعضِ الإخوةِ العجم، وإذ بالأخِ عبدِ الهادي يتساءلُ منزعجًا: "مَنْ هذا الذي يتكلم؟"، ظنًّا منهُ أنَّ الغرضَ هو التشويشُ أو المقاطعة، فأجبتُهُ موضِّحًا: "أنا أترجمُ للإخوةِ العجم"، فبدأ يبكي لأنهُ فهمَ الأمرَ خطأً، وراح يقبِّلُ رأسي ويعتذر، وصار بعدها كلما قابلني قبَّلَ رأسي وبكى معتذرًا! فكان أخًا عجيبًا من طرازٍ نادرٍ -تقبَّلَهُ الله-، ولا نزكِّيهِ على الله، فقلتُ في نفسي: "إي والله، هذا الذي يجعلُ الشيخَ أبا مصعبٍ ينعاهُ ويتألمُ على فراقِه، فهؤلاء همُ الذين تربوا في مدرسةِ الزرقاوي، فنِعمَ المربِّي، ونِعمَ الأبناء).

قال عنه أبو قدامة في كتابِهِ (فرسانُ الفريضةِ الغائبة):

كان يتحرقُ عبدُ الهادي دغلس للقيامِ بعمليةٍ في فلسطين، انتدبَ نفسَهُ للقيامِ بتلك العملية، لكنَّ محاولاتِهِ لم تكن موفقة، اكتُشفَ أمرُ السلاحِ في بدايةِ أمرِهم، عن طريقِ فخٍّ نصبَهُ لهم أحدُ معارفِهِ بعد إعطائِهِ السلاحَ فسُجنَ على إثرِها، كانت النهايةُ أن دخل السجنَ مع مجموعةِ الزرقاويِّ

والمقدسيّ وأبي القسامِ وغيرِهم، ولم يكونوا من قبلُ تنظيمًا قد تحددت ملامحُهُ بعد، إنما وقعَ خطأٌ في بدايةِ العمل. عاش دغلس حياةَ السجنِ مع الزرقاويِّ ثم بعد السجنِ توجهَ إلى أفغانستانَ والتقى بالزرقاوي، واستُشهدَ أخيرًا في العراق. لم يكن المقدسيُّ يعرفُ بأمرِ العمليةِ والسلاح، وكان إخوتُهُ يعرفون أنه لا يوافقُهم على ذلك، وعندما أطلعوهُ تأثر، وخشيَ من الاعتقالِ أو انكشافِ الأمر. قام أبو مصعبٍ بإخبارِ المقدسيّ وتطمينِهِ أنَّ السلاحَ موجهٌ ضدَّ اليهود، وليس ضدَّ الأردن.

ومما قال عنه أيضًا أبو جعفرٍ الأنصاريُّ في (الزرقاوي كما صحبتُه):

بعد سقوطِ قندهار، لم يبقَ أمامَ الزرقاويّ إلا مغادرةُ أفغانستان؛ فأرسلَ العوائلَ إلى باكستانَ لغرضِ نقلِهم إلى مناطقَ آمنةٍ عبرَ إيران، ودخلَ هو إلى إيرانَ بمساعدةِ السنةِ الإيرانيين، وقد عقد اجتماعًا لقادةِ جماعتِهِ وقرر الذهابَ إلى العراق؛ كونها الساحةَ المقبلةَ للمعركةِ مع الأمريكان، وكان هذا القرارُ في غايةِ السرّية، ولم يعلم أحدٌ بوجهةِ تحرُّكِ المعسكرِ ومقصدِه، واتفق مع أحدِ قادةِ أنصارِ الإسلامِ في شمالِ العراقِ على مواصلةِ التدريبِ والدعمِ العسكريّ لجماعتِه، لحينِ ترتيبِ المعسكرِ الخاصّ بهم، وبعد توجهِ المعسكرِ إلى شمالِ العراقِ وبناءِ معسكرين: نصَّبَ أميرًا عليهما (عبد الهادي دغلس)، رفيقَ طفولتِهِ وذراعَهُ الأيمن، وكان هو المنسقَ بين المجموعةِ وأنصارِ الإسلام، والتقى الزرقاويُّ ببعضِ الشبابِ المجاهدينَ من الأردنيينَ الذين كانوا يقاتلون مع أنصارِ الإسلامِ، وطلبوا منه البقاءَ معهم، غير أنه رفضَ وقال: (الأمريكانُ إن شاء الله قادمون، ولا بدَّ من أن نستعدَّ لهم؛ لغرضِ المواجهة،

وعلينا أن نعتمدَ على العنصرِ السنّي الذي يمتلكُ القدراتِ والإمكانياتِ الأفضلَ والأوسع). فكان الزرقاويُّ قد قرر الانتقالَ إلى بغداد؛ لغرضِ الالتقاءِ بالإخوةِ العراقيينَ الذين كانوا يقاتلون في أفغانستان، والاستعدادِ للقيامِ بالمواجهةِ التي لا بدَّ أن تتحققَ مع الأمريكانِ.

رثاءُ جماعةِ التوحيدِ والجهاد

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

هـذهِ وصـيةُ رفيـقِ الـدربِ في أوقـاتِ الشـدةِ والكـربِ الأسـدِ الهصـورِ والشجاعِ الأبي، أبت لهُ عفتُهُ وبلاؤُهُ أن يولِّيَ الكفارَ الأدبار، واستحى من اللهِ أن ينظرَ إليه فارًّا من لقائِهِ خائفًا من أعدائِهِ فتبايعَ ومجموعةٌ معه على الموتِ وتقحموا الساحَ رافعينَ رايةَ الجهادِ والكفاحِ حتى كثُرت فيهمُ الجراحُ فتجندلوا صرعى في سبيلِ المولى سبحانَهُ وتعالى.

وقد كان فوتُ الموتِ سهلًا فردَّهُ *** إليهِ الحفاظُ المرُّ والخلقُ الوعرُ
ونفسٌ تعافُ العارَ حتى كأنَّهُ *** هو الكفرُ يومَ الروعِ أو دونَهُ الكفرُ
فأثبتَ في مستنقعِ الموتِ رجلَهُ *** وقال لها من دونِ أخمصِكِ الحشرُ
مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بقعةٌ *** غداةَ ثوى إلا اشتهتْ أنها قبرُهُ

في أرضِ كردستانَ مثوى الجثمان،

وأما الرُّوحُ ففي الجنانِ وجوارِ الرحمن نحسبُهُ واللهُ حسيبُهُ ولا نزكي على اللهِ أحدًا.

وصـيةٌ كُتبت على عجـلٍ من قلبٍ امتلأَ بالوجـلِ من اللهِ والخجـلِ مما آلَ إليهِ حالُ الأمة، فنفرَ يدفعُ ويذودُ وتخطَّى الحدودَ والسُّدودَ يزأرُ كالأسودِ في سبيلِ اللهِ المعبود، فرحمةُ اللهِ عليكَ ما دامَ الوجود؛

وصلتنا أخيراً فكان حقاً علينا إنفاذُها وإعلانُها للأمةِ وفاءً لحقِّهِ وحفظًا لذمامِهِ فرحمةُ اللهِ عليكَ عبدَ الهادي وجمعنا بكَ في مستقرِّ رحمتِه، آمين.

وإليكم إخوتي نصَّ وصيةِ أبي تيسير عبدِ الهادي دغلس -رحمه الله- كما وصلتنا:

وصيةُ الشهيدِ -بإذنِ الله- عبدِ الهادي دغلس

وصيتي:

أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله، وأقسمُ أنَّ الجنةَ حقٌّ وأنَّ النارَ حق، وأقسمُ أنَّ البعثَ حق،

وأقسمُ أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأقسمُ باللهِ العظيمِ أنَّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلام،

وأقسمُ باللهِ أنهُ مَن يتبع غيرَ الإسلامِ دينًا فلن يُقبلَ منهُ وهو في الآخرةِ مِن الخاسرينَ،

وأقسمُ باللهِ أنَّ حبيبَنا محمدًا -صلى اللهُ عليهِ وسلم- رسولُ اللهِ وخاتمُ الأنبياءِ والمرسلين، وأقسمُ أنهُ جاءَ بالدينِ الحق.

اللهمَّ اشهد لي أني أحبُّكَ أكثرَ من نفسي وزوجي وأولادي وأكثرَ من أمي وأبي وعشيرتي ووطني وإخواني،

اللهمَّ إني أحبُّ رسولَكَ محبةً فوقَ محبتي لنفسي وكلِّ مَن في هذهِ الدنيا،

اللهمَّ اشهد أني أحبُّ القرآنَ وأحبُّ السنةَ وأحبُّ كلَّ مَن يجاهدُ من أجلِ رفعِ رايةِ هذا الدين،

اللهمَّ اغفر لي ذنوبي، اللهمَّ سامحني وارحمني واغفر لي وتقبَّلني واقبَلني، فأنا بأمسِّ الحاجةِ إليك يا ربَّ العالمينَ يا أرحمَ الراحمينَ ما لي سواك؛ عبدُكَ

الذي أسرفَ على نفسِهِ وقصَّرَ كثيرًا في نصرةِ دينِكَ يرجو الآن رحمتَكَ ويطلبُ عفوكَ ويقصدُ كرمكَ وبابكَ اللهمَّ ليس لي الآن إلا أنتَ.

اللهمَّ هذا الجسدُ فقطِّعهُ محبةً في جلالِكَ وخوفًا من نارِكَ وطمعًا في جنتِك،

اللهمَّ سترَكَ الذي لا ينكشف، اللهمَّ كما سترتَ عليَّ في الدُّنيا فاسترها عليَّ عند الحسابِ ويومَ يقومُ الأشهادُ يومَ التناد،

يا اللهُ يا رحمنُ لم يبقَ لي إلا رحمتُكَ وعفوُكَ ومغفرتُك، ما لي سواكَ ما لي سواكَ ما لي سواكَ يا الله، كُن معي وسامحني واسترها علي.

وصيتي لأهلِ الخيرِ والمالِ أن يسدوا عني (٣٠٠٠ دولارٍ) هي للهِ علي، واللهُ أعلمُ بأيِّ الوجوهِ صُرفت ولكنَّ هذا المالَ أعتبرُهُ دَينًا للهِ علي، فأسألُ اللهَ أن يُكرمني بأخٍ لم تلدهُ لي أمي بسدادِ هذا الدَّينِ عني، ولهُ الأجرُ والثوابُ مِن الله، الذي لا تأخذُهُ سنةٌ ولا نومٌ سبحانَهُ وتعالى.

سلامي لأخي الحبيبِ جمالِ شتان أبي همامٍ وقولوا له: إنَّ أبا تيسيرٍ يحبُّكَ في اللهِ ويدعو لك.

وسلموا لي على نصري.

وسلموا لي على أبي أشرف.

وسلموا لي على يوسفَ الإخوةِ وقولوا له: لا تنسَ الجهادَ ولا تنسَ العهودَ والمواثيقَ التي قطعتَها على نفسِك.

وسلموا لي على الأخِ الكبيرِ والحبيبِ أبي مصعبٍ الزرقاويِّ وقولوا له: سامح أخاكَ أبا تيسيرٍ فواللهِ لك علينا حقوقٌ كثيرةٌ وقصرنا معك كثيرًا.

سلموا لي على الأخِ الحبيبِ أبي رحمة، وعلى أبي أسيدٍ وصهيبٍ وأبي عطاء.

سلموا لي على أُمِّي وأبِي زوجتي وقولوا لهم أعانكمُ اللهُ على أحزانِكم وهمومِكم ومسؤولياتِكم.

وأوصي أمَّ محمدٍ أن تُحفِّظَ البناتِ كتابَ اللهِ وأن تعلمَهن العقيدةَ وأن تعلمَهن الدينَ وأن تهتمَّ بتعليمِهنَّ الحياءَ والأخلاقَ الحميدة.

وأوصي أمَّ محمدٍ بأبي الفضل، أُريدُهُ رجلًا غيورًا على هذا الدين، أُريدُهُ كثيرَ الحزنِ على مآسي المسلمين، أُريدُهُ أن يكون أسدًا مِن أُسودِ اللهِ لا يعرفُ الخورَ ولا الجبنَ ولا التخاذل.

اللهمَّ أسألُكَ أن ترزقَهُ علمًا وجهادًا وعملًا وتختمَ لهُ بالشَّهادةِ في سبيلِك.

سلموا لي على عبدِ الرحمنِ وطلحةَ وأبي الغاديةِ وأَبِي ذر.

سلموا لي على كلِّ مَن يعرفني مِن إخواني وأحبابنا المجاهدين، واطلبوا مِنْ كلِّ مَن عرفني أن يسامحني وأن يحللني في أيِّ خطأٍ أو سوءِ ظنٍّ أو غيبةٍ أو أيِّ شيء.

وأخيرًا:

أوصيكم بدينِكُم،

أوصيكم بعقيدتِكُم،

أوصيكم بملةِ إبراهيم،

أوصيكم بالعملياتِ الاستشهاديةِ المدروسةِ جيدًا،

أوصيكم بالإرهابِ لأعداءِ الدين،

أوصيكم بعملياتِ الاغتيالِ لرؤوسِ الكفرِ مهما كانتِ التكاليفُ المادية؛ عليكم برؤوسِ الكفرِ اجعلوهم على رأسِ برامجِكمُ الجهادية.

لا تنسوا جهادَ أمريكا الكافرة، أرعبوهم، أرهقوهم.

لا تنسوا اليهودَ أولادَ القردةِ والخنازير.

ولا تنسوا طواغيتَ العربِ من جهادِكم مزقوهم، واقتلوهم.

اهتموا بالشبابِ المسلمِ حافظوا على الأوقاتِ مِنَ الضياع.

إياكم واللغو،

إياكم واللغو،

إياكم واللغو،

وإياكم وضياعَ الأوقات؛

الوقتُ: هو رأسُ المالِ املأهُ بذكرِ اللهِ والقرآنِ.

أوصيكم بهذا الكتابِ الكريمِ العظيمِ، أوصيكم بصحبةِ القرآنِ الحبيبِ، أوصيكم بهِ فواللهِ خيرُ جليسٍ في هذا الزمانِ مجالسُ هذا الكتابِ العظيمِ، اقرؤوا آياتِهِ وتغنوا بهِ وتدبروا آياتِهِ وراجعوا تفسيرَه.

آخرُ وصيتي؛ إياكم وعقوقَ الوالدينِ، ارحموا أمهاتِكم وتلطفوا بآبائِكم، وكونوا معهم رحماءَ حتى يرحمنا الله.

وأخيرًا؛ القرآنُ أوصيكم بهِ، أوصيكم بوردٍ يومي.

أخوكم أبو تيسير

٩/ ٨ / ٢٠٠٢ م

خطبةُ تحقيقِ العبوديةِ للهِ وحدَه

الجمعة: ١٣ صفر ١٤١٥ هـ

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستهديهِ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا مَن يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ لهُ ومَن يضلل فلا هاديَ له، أحمدُهُ -عزَّ وجلَّ- وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ اختارَهُ لتبليغِ رسالتِهِ فبلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ ونصحَ الأمةَ وتركها على المحجّةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ فصلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومَن سارَ بسيرِهم واستنَّ بسننِهم مخلصًا إلى يومِ الدين، وبعد؛

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

يقولُ ربُّكم -عزَّ وجلَّ- في كتابِهِ العزيزِ وهو أصدقُ القائلين:

{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)} [الأحزاب] صدق اللهُ العظيم.

أيها الإخوة؛

روى ابنُ كثيرٍ في تفسيرِهِ عن الإمامِ أحمدَ بسندِهِ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو -رضي الله عنه- قال:

(خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ يومًا كالمودِّعِ فقال: "أنا محمدٌ النبيُّ الأميُّ – ثلاثًا- ولا نبيَّ بعدي، أُوتيتُ فواتحَ الكلِمِ وجوامعَهُ وخواتمَه، وعلمتُ كم خزنةُ النارِ وحملةُ العرش، وتُجوِّزَ بي، وعوفيتُ وعوفيت أمتي، فاسمعوا وأطيعوا ما دمتُ فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتابِ اللهِ تعالى، أَحِلُّوا حلالَهُ وحرِّموا حرامَه").

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

لقد بعثَ اللهُ تعالى محمدًا ﷺ بين يدَيِ السَّاعةِ بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجًا منيرًا، فكان ﷺ خاتمَ الأنبياءِ والمرسلينَ وسيدَ الخلقِ أجمعين، بلَّغَ رسالةَ ربِّهِ ونصحَ لأمتِهِ وتركها على المحجّةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالك، ولا يتنكبُها إلا ضال. فصلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومن دعا بدعوتِهِ واهتدى بهديِهِ إلى يومِ الدين، وجزاهُ اللهُ عنا خيرَ ما يجزي نبيًّا عن أمّتِه.

أيها الإخوة؛

والذين تابعوا معنا خُطبَ الجُمَعِ الماضيةِ مع بدايةِ دروسِ الهجرةِ علموا كما علمنا كيف سارتِ الدعوةُ إلى اللهِ وكيف بلَّغَ محمدٌ ﷺ رسالةَ اللهِ في

مكةَ وهو وأصحابُهُ مستضعفونَ وكيف بلَّغَها وهو في المدينةِ حاكمٌ بيدِهِ القوةُ والسلطان.

واليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- نجملُ باختصارٍ شديدٍ ما فصَّلناه، فلعلَّ في الإعادةِ إفادةً كما قيل، والذكرى تنفعُ المؤمنين.

أيها الإخوةُ؛

كان محمدٌ ﷺ رسولَ الله، لم يكن شيخَ عشيرةٍ، ولا زعيمَ قبيلةٍ أو دولةٍ ولا حاكمًا جبارًا ولا ملكًا متسلطًا، بل كان رسولَ الله، وخاتمَ النبيينَ إلى الخلقِ أجمعين.

{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠].

وكانت طاعتُهُ من طاعةِ اللهِ تعالى.

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [النساء: ٦٤].

{مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: ٨٠].

ولم يكن ﷺ بطاقتِهِ البشريةِ كفردٍ محدودِ القدرات، بقادرٍ على أن يوصلَ دعوةَ اللهِ تعالى إلى كلِّ الناسِ وفي كلِّ الأزمانِ وإلى قيامِ الساعة.

فبدأ ﷺ بتكوينِ أمةٍ تحملُ معه وبعدَهُ الدعوةَ إلى اللهِ تعالى وتبلِّغُ للناسِ رسالةَ اللهِ إلى يومِ القيامة.

وقد أخرجَ اللهُ تعالى على يديهِ هذهِ الأمةَ الكريمةَ مِن المؤمنينَ المهاجرينَ والأنصارِ ومن تبعهم وسارَ على نهجِهم إلى يومِ الدين.

قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

وقد حملت هذهِ الأمةُ الكريمةُ رسالةَ اللهِ تعالى بعد وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ وبلَّغتها للبشريةِ بالطريقةِ التي سلكها رسولُ الله ﷺ وبالكيفيةِ التي علّمها إياها رسولُ الله ﷺ والتي أوحاها لهُ ربُّهُ العليمُ الحكيمُ سبحانَه، وهي الجهادُ في سبيلِ اللهِ بكلِّ تفصيلاتِه.

قال اللهُ تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)} [التوبة].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} [التوبة: ١٢٣].

أيها الإخوةُ المؤمنون،

وهكذا فإنَّ الدعوةَ إلى اللهِ كانت تستهدفُ تحقيقَ أمرينِ أساسيين.

الأمرُ الأول: هو الدعوةُ إلى الله، الدعوةُ إلى توحيدِ الله، الدعوةُ إلى لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له.

"قولوا لا إلهَ إلا اللهُ تفلحوا".

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

"أُمِرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله ﷺ، فإنْ قالوها فقد عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها وحسابُهُم على الله".

وعندما أرسلَ معاذًا إلى اليمنِ قال له ﷺ: "إنكَ ستقدمُ قومًا مِن أهلِ الكتابِ فليكن أولَ ما تدعوهم إليهِ هو شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله"، وفي روايةٍ: "إلى أن يوحدوا الله".

وفي مرضِ أبي طالبٍ الذي ماتَ فيه، اجتمعَ إليهِ زعماءُ قريشٍ وقالوا له: (ادعُ ابنَ أخيكَ فخذ لهُ منا وخذ لنا منهُ ليكفَّ عنا ونكفَّ عنه).

فدعاهُ أبو طالبٍ وأخبرَهُ بما اجتمعَ إليهِ قومُهُ فقالَ ﷺ:

"نَعَمْ! كلمةٌ واحدةٌ تعطونيها تملكونَ بها العربَ وتدينُ لكم بها العجم" فقال أبو جهل: (نعم وأبيكَ وعشرُ كلمات)، قال: "تقولون لا إلهَ إلا اللهُ وتخلعون ما تعبدون مِن دونِه"، فصفَّقوا بأيديهم وقالوا: (أتريدُ يا محمدُ أن تجعل الآلهةَ إلهًا واحدًا إنَّ أمرَكَ لعجب!).

وهكذا كانتِ الدعوةُ إلى اللهِ التي بلَّغَها محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ تستهدفُ تحقيقَ العبوديةِ الخالصةِ للهِ ربِّ العالمينَ لا شريكَ لهُ، والعبوديةُ للهِ تعالى هي طاعتُهُ والخضوعُ لهُ في كلِّ ما يأمرُ وينهى وخلعُ الأندادِ والطواغيتِ بكلِّ أشكالِها ومسمياتِها.

{اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]

{فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)} [البقرة].

وتحقيقُ العبوديةِ للهِ تعالى إنما يتجسدُ في ناحيتين:

الناحيةُ الأولى: العبوديةُ الفرديةُ التي يحققُها الأفرادُ المؤمنونَ من التزامٍ بأوامرِ اللهِ واجتنابٍ لنواهيه؛ من إقامةِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ والصومِ والحجِّ وغير ذلك مِن العبادات، ومن اجتنابِ الفواحشِ كالزنا والسرقةِ وشربِ الخمرِ والغيبةِ والنميمةِ والتجسس، وغير ذلك مِن النواهي التي نهى عنها اللهُ تعالى والتي في مقدورِ الفردِ القيامُ بها.

والناحيةُ الثانية: العبوديةُ الجماعيةُ والتي تتمثلُ بإقامةِ مجتمعِ التوحيد، مجتمعِ "لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله ﷺ"، المجتمعِ الذي يطبّقُ أوامرَ اللهِ وشرعَ الله، ويلفظُ شرعَ الجاهليةِ وقوانينَ الطاغوت.

المجتمعِ الذي تكونُ العلاقاتُ بين أفرادِهِ مِن اللهِ تعالى وحدَه. فاللهُ تعالى هو الذي حددَ للناسِ علاقاتِ الزواجِ والطلاق، وحددَ علاقاتِ البيعِ والشراءِ والتجارة، وحددَ علاقةَ الحاكمِ بالمحكومين، وحددَ شكلَ الحكمِ وشكلَ الدولة، وحددَ العلاقاتِ الخارجيةَ بين المسلمينَ وغيرِهم من أممِ الأرض؛ فهو الذي أمرَ بالجهادِ في سبيلِ اللهِ لنشرِ الدعوةِ إلى اللهِ وإخضاعِ الكفارِ لدينِ اللهِ وفرضِ الجزيةِ عليهم، واللهُ تعالى هو الذي حددَ كيفيةَ معاهداتِ السلام، والمعاهداتِ الاضطرارية، ومعاهداتِ حسنِ الجوار، وليست أمريكا هي التي تحددُ ذلكَ ولا مجلسُ الأمنِ ولا الشرعيةُ الدوليةُ ولا البشرُ مهما كان شكلُهم ولونُهم ونوعُهم وأيًّا كانت صفتُهم، ومَن فعلَ ذلك

مِن دونِ اللهِ ومن غير شرعِ اللهِ فقد خانَ اللهَ ورسولَهُ وجماعةَ المسلمين، والمسلمونَ في حِلٍّ مما عقدَ وأبرمَ وعاهد.

وهكذا كان رسولُ اللهِ ﷺ يستهدفُ تحقيقَ العبوديةِ للهِ فكوّنَ الجماعةَ المسلمةَ في مكةَ التي تأتمرُ بأمرِهِ بوصفِهِ رسولَ اللهِ لا بوصفِهِ رئيسَ جماعةٍ أو شيخَ عشيرةٍ أو ملكًا أو حاكمًا كما بيّنا. فقد أمرَ أصحابَهُ بالهجرةِ إلى الحبشةِ فهاجروا، وأمرَهم بالهجرةِ إلى المدينةِ فهاجروا وتركوا أموالَهم وديارَهم وأوطانَهم وعشيرتَهم؛ لأنهم آمنوا باللهِ ورسولِهِ وقبلوا أن يكونوا عبيدًا للهِ تعالى وحدَه. ثم كوّنَ المجتمعَ الإسلاميَّ في المدينةِ ووضعَ دستورَهُ المنبثقَ من لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ، (وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيءٍ فإنَّ مردَّهُ إلى اللهِ -عزَّ وجلَّ- وإلى محمدٍ ﷺ).

أيها الإخوةُ المؤمنون؛ وحّدوا الله.

الأمرُ الثاني الذي استهدفَ رسولُ الله ﷺ تحقيقَهُ إلى جانبِ تحقيقِ توحيدِ اللهِ تعالى هو: تكوينُ أمةٍ تحملُ الدعوةَ إلى اللهِ وتبلّغُ رسالةَ اللهِ تعالى إلى البشريةِ جميعًا وإلى قيامِ الساعة.

وقد تكونت هذه الأمةُ كما ذكرنا ولكنها اليومَ اندثرت وصارت أفرادًا يعيشون في مجتمعاتٍ جاهليةٍ، وهم بحاجةٍ إلى لَمِّ شعثِهم وجمعِ كلمتِهم ليتكونَ منهم مجتمعُ التوحيد، مجتمعُ لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله ﷺ ثم يتولى هذا المجتمعُ بأجهزتِهِ حملَ الدعوةِ إلى اللهِ إلى الناسِ كافةً ليخرجَهم مِن الظلماتِ إلى النورِ كما أُخرجوا في الماضي. والبشريةُ عطشى إلى نورِ الله،

وتترقبُ فجرَ الإيمانِ بفارغِ الصبر، فأين هم حملةُ الدعوةِ إلى الله؟، أين هو مجتمعُ لا إلهَ إلا الله الذي سيحملُ الدعوةَ إلى اللهِ إلى البشريةِ من جديد؟!

أرجو اللهَ تعالى أن يظهرَ ذلك من جديد، في القريبِ القريبِ إنهُ سميعٌ مجيب.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين.

الخطبةُ الثانية

الحمدُ للهِ وكفى وسلامٌ على عبادِهِ الذين اصطفى {آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ}، أحمدُهُ -عزَّ وجلَّ-، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ النذيرُ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وبعد؛

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

هذه هي الدعوةُ إلى الله، وهذهِ هي الغايةُ التي استهدفَ رسولُ اللهِ ﷺ تحقيقَها، العبوديةُ الخالصةُ لله، العبوديةُ الفرديةُ والعبوديةُ الجماعية، وتكوينُ أمةٍ تحملُ هذه الدعوةَ إلى اللهِ للناسِ كافة.

ولكن! كيف سارَ رسولُ اللهِ ﷺ في تبليغِ هذه الدعوة؟

إنَّ هذه الكيفيةَ ليست مسألةً شخصيةً اجتهاديةً بل هي بيانٌ مِنَ اللهِ تعالى لرسولِهِ وللمؤمنينَ كيف يقومون بذلك، وهي خطواتٌ عمليةٌ نزلَ بها الروحُ الأمينُ على قلبِ محمدٍ ﷺ وبلَّغها عمليًّا محمدٌ ﷺ، ولهذا حديثُ

يطولُ ولكن هنا نقولُ إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد بلَّغَ ما يوحى إليهِ مِن اللهِ تعالى، وقد كان القرآنُ الكريمُ ينزلُ عليهِ ﷺ منجمًا حسبَ الحوادثِ في مدةِ ثلاثٍ وعشرينَ سنة.

والقرآنُ الكريمُ في آياتِهِ الكثيرةِ المحكمةِ عرَّفَ الناسَ بربِّهِم الذي يستحقُّ أن يعبدوهُ وحدَه، إنهُ الله، إنهُ الخالقُ البارئُ المصور. {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)} [العلق]، مَن ربُّكَ أيها الإنسان؟! إنهُ اللهُ الذي خلق.

هل من خالقٍ غيرُ الله؟! هذا خلقُ اللهِ فأروني ماذا خلقَ الذين من دونِه؟!

أم لهم شركاءُ خلقوا كخلقِهِ فتشابهَ الخلقُ عليهِم؟!

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)} [يونس]؟!

{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥)} [الأنعام]؟!

ذلكمُ الله، فهل عرفتُموه؟!

{ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)} [الأنعام].

فهل عرفتُمْ ربَّكُم؟! هل عرفتُمُ اللهَ؟!

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥) خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦)} [الزمر]؟!

هل من شركائِهِم مَن يفعلُ من ذلكم من شيء؟! أفمن يخلقُ كمن لا يخلق؟! أفلا تذكرون؟!

{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤)} [الأحقاف]؟!

أيها المسلمونَ؛ وحِّدوا الله.

هذا هو ربُّكم فهل عرفتُموه؟! إنهُ الله فاعبُدوه، أفلا تذكرون؟!

أطيعوهُ وحدَهُ في حياتِكُمُ الفرديةِ في صلاتِكُم وصومِكُم وحجِّكُم، واعبُدوهُ وحدَهُ في حياتِكُمُ الجماعيةِ في تشريعاتِكُم وقوانينِكُم، وفي علاقاتِكُمُ الداخليةِ والخارجية، اعبُدوهُ وحدَه، أطيعوهُ وحدَه، واحذروا غضبَهُ ونقمتَهُ فهو القويُّ القهار، وهو المنتقمُ الجبار.

واعتـبروا بما حـلَّ بغـيرِكُم ممن كـان قبلَكُم، أم أنكم تظنـونَ أنكم بهذهِ الشعائرِ وحدَها تعبُدونَهُ وحدَهُ وتكسبونَ رضوانَهُ وجنّتَه؟!

وهل هكذا تكونُ العبادةُ للهِ أيها العابدون!، أهكذا تكونُ العبادةُ للهِ في جرشٍ ومسارِحِها، أم في الفنادقِ ومسابِحِها، أم في البحرِ الميتِ وفندقِهِ وما يجري فيه، أهكذا عبدَ الصحابةُ ربَّهُم؟! أهكذا يعبدُ العابدونَ خالقَهُم؟!

أعيـدوا النظـرَ في عبـوديتِكُم لله، أعيـدوا النظـرَ في إيمانِكُم بالله، أعيـدوا النظرَ في مصيرِكُمُ الذي ينتظرُكُم في الدُّنيا والآخرة. فالأمرُ كلُّهُ لله، والأمرُ كلُّهُ بيدِ الله، فهو وحدَهُ صاحبُ الخلقِ والأمر:

{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)} [آل عمران].

اللهمَّ اجعلنا من أهلِ طاعتِكَ ورضاك.

اللهمَّ اجعلنا ممن يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنَه.

خطبةُ عذابِ اللهِ -عزَّ وجلَّ-

الجمعة: ٢٧ صفر ١٤١٥ هـ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستهديهِ ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ لهُ ومَن يضلل فلا هاديَ له، أحمدُهُ -عزَّ وجلَّ-، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ اختارَهُ لتبليغِ رسالتِهِ فبلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ ونصحَ الأمةَ وتركها على المحجةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالك، فصلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومن سارَ بسيرِهم واستنَّ بسننِهم مخلصًا إلى يومِ الدينِ وبعد؛

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

يقولُ ربُّكم -عزَّ وجلَّ- في كتابِهِ العزيزِ وهو أصدقُ القائلين:

{أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧)} [النحل] صدقَ اللهُ العظيم.

أيها الإخوة؛

روى ابنُ كثيرٍ في تفسيرِهِ عن ابنِ أبي حاتمٍ بسندِهِ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ – رضيَ اللهُ عنه– قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

"تطلعُ عليكم عند الساعةِ سحابةٌ سوداءُ مِن المغربِ مثلُ الترس، فما تزالُ ترتفعُ في السماء، ثم ينادي منادٍ فيها:

"يا أيُّها الناس: فيُقبلُ الناسُ بعضُهم على بعضٍ: هل سمعتُم؟ فمنهم مَن يقول: نعمْ، ومنهم مَن يشك، ثم ينادي الثانية: يا أيُّها الناس، فيقولُ الناسُ بعضُهم لبعضٍ: هل سمعتُم؟ فيقولون: نعمْ، ثم ينادي الثالثة: يا أيُّها الناسُ أتى أمرُ اللهِ فلا تستعجلوه". قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "فوالذي نفسي بيدِه، إنَّ الرجلينِ لينشرانِ الثوبَ فما يطويانِهِ أبدًا، وإنَّ الرجلَ ليمدُّنَّ حوضَهُ فما يسقي فيهِ شيئًا أبدًا، وإنَّ الرجلَ ليحلبُ ناقتَهُ فما يشربُهُ أبداً –قالَ– ويشتغلُ الناس".

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

أتى أمرُ اللهِ فلا تستعجلوه، فأمرُ اللهِ تعالى آتٍ لا محالة، وهو متحققُ الوقوعِ قطعًا. وقد اقتربَ وقوعُهُ فلا تستعجلوه {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١)} [الأنبياء] ولقد كان المشركونَ الذين لا يؤمنونَ بالبعثِ والحسابِ يستهزئونَ بآياتِ الله، ويسخرونَ من رسولِ اللهِ ﷺ وهو يتلو عليهِم آياتِ الله، ويشككونَ في وقوعِ العذابِ الذي يتوعدهُم به اللهُ سبحانَهُ وتعالى، ويستعجلونَ وقوعَهُ على سبيلِ السخريةِ والاستهزاء.

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤)} [العنكبوت] يستعجلونَ بالعذابِ على سبيلِ السخريةِ حتى قالوا: {اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.

أيها الإخوة؛

ولحكمةٍ أرادَها اللهُ تعالى، ورحمةٍ منهُ سبحانَهُ بعبادِهِ يؤخِّرُ العذابَ الآتيَ لا محالة، يؤخِّرُهُ لعلَّ الكافرَ يؤمن، ولعلَّ المشركَ يكفرُ بالطاغوتِ ويوحدُ الله، ولعلَّ العاصيَ يتوبُ ويثوبُ إلى الله {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣)} [البقرة].

وعذابُ اللهِ تعالى أيها الإخوةُ إنما يقعُ حينما يستكبرُ الناسُ على اللهِ -وهو المتكبرُ الجبار-، فيرفضونَ طاعتَه، ويتمردونَ على أمرِه، ويطيعونَ سادتَهم وكبراءَهم من دونِ اللهِ طمعًا في مكسبٍ معجّلٍ أو خوفًا من بطشِهم وتنكيلِهم، وينسونَ اللهَ وينسونَ عذابَ الله.

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} [العنكبوت: ١٠].

وهكذا عندما يرفضُ الناسُ أمرَ اللهِ ويتمسكونَ بأمرِ طواغيتِهم من دونِ اللهِ فإنهم يستحقونَ عذابَ اللهِ ونقمةَ الله.

فما هو أمرُ اللهِ تعالى الذي أنزلَهُ على عبدِهِ ورسولِهِ الأمينِ ﷺ والذي رفضَهُ الناسُ أو تمردوا عليهِ على مرِّ العصورِ فاستحقوا بذلكَ عذابَ الله؟!

يقول الله تعالى: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)} [النحل]. هذا هو أمرُ اللهِ {لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ}.

هذا هو الأمرُ الأولُ والأخيرُ الذي أنزلَ اللهُ بهِ ملائكتَهُ وبعثَ بهِ أنبياءَهُ على مرِّ العصور {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)} [الأنبياء]، نعمْ! اللهُ تعالى هو وحدَهُ الإلهُ لا إلهَ غيرُه، وهو الربُّ فلا ربَّ سواه، هو الخالقُ فهو صاحبُ الأمر {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف:٥٤] هذا هو الأمر، وهذهِ هي القضيةُ التي جاءَ بها البلاغُ والإنذارُ مِن القويِّ القهار.

{هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)} [إبراهيم].

هذه قضيتُكُم أيها الناس، بها تدخلونَ الجنة، وبكفرِها تدخلونَ وتخلدونَ في النار.

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

هل فهمَ الناسُ هذهِ الحقيقة؟! هل آمنَ الناسُ بهذهِ القضية؟!

هل فهموا أمرَ اللهِ فنفَّذوه؟! أم أنهم ينتظرونَ عذابَ الله؟! ويسخرونَ من إنذارِ الله؟! ويستهزئونَ بآياتِ اللهِ؟!

{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)} [الصافات].

يا أيها الناس؛

لماذا تستكبرونَ على اللهِ وهو الكبيرُ المتعال؟!

{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)} [الانفطار].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣)} [فاطر]؟

يا أيها الناسُ، اذكروا اللهَ!

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)} [غافر].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين، فاستغفروهُ إنهُ هو الغفورُ الرحيم.

الخطبةُ الثانية

الحمـدُ للهِ وكفى وسـلامٌ على عبـادِهِ الـذين اصـطفى {آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّـا يُشْرِكُونَ}، أحمَدُهُ -عزَّ وجلَّ- وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشـهدُ أنَّ محمـدًا عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ والنـذيرُ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وبعد؛

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

{أَتَىٰ أَمْـرُ اللَّهِ فَلَا تَسْـتَعْجِلُوهُ ۚ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَىٰ عَمَّـا يُشْـرِكُونَ (١)} [النحل].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥)} [فاطر].

{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)} [النور].

أيها الناس؛

{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)} [آل عمران].

{وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ

اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْـرًا (١٠) رَّسُـولًا يَتْلُـو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَـاتٍ لِّيُخْـرِجَ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّـورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَـلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَـهُ رِزْقًـا (١١) اللَّهُ الَّـذِي خَلَـقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْـرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَـدْ أَحـاطَ بِكُـلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)} [الطلاق].

هـذا هـو أمـرُ اللهِ تعـالى إليكُم، وهـذا هـو ذكـرُ اللهِ تعـالى ورسـالتُهُ بين أيديكُم:

{فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمـر: ٢٢]، فـاذكروا يومَ لقـاءِ الله {يَوْمَئِـذٍ تُعْرَضُـونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَـةٌ (١٨)} [الحاقـة]، {يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)} [غافر].

اللهمَّ اجعلنا من أهلِ طاعتِكَ ورضاكَ واتباعِ هداكَ يا ربَّ العالمين.

اللهمَّ اجعلنا ممن يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنَه.

اللهمَّ اغفر للمؤمنينَ والمؤمنات.

اللهمَّ اجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا سخاءً رخاءً وسائرَ بلادِ المسلمين.

اللهمَّ ارحم أمةَ الإسلام.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على محمدٍ وعلى آلهِ وصحبِهِ وسلم تسليمًا كثيرًا.

خطبةُ {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}

الجمعة: ٥ ربيعٍ الأول ١٤١٥هـ

إنَّ الحمدَ للهِ ونستعينُهُ ونستهديهِ ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ لهُ ومَن يضلل فلا هاديَ له، أحمدُهُ عزَّ وجلَّ وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ اختارَهُ لتبليغِ رسالتِهِ فبلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ ونصحَ الأمةَ وتركها على المحجةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالك، فصلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومن سارَ بسيرِهم واستنَّ بسنتِهم مخلصًا إلى يومِ الدين، وبعد؛

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

يقولُ اللهُ تبارك وتعالى في كتابِهِ العزيزِ وهو أصدقُ القائلين:

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠)} [ص] صدقَ اللهُ العظيم.

أيها الإخوة:

روى ابنُ كثيرٍ في تفسيرِهِ عنِ الإمامِ أحمدَ بسندِهِ عن أَبِي هريرةَ –رضيَ اللهُ عنه–، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءَونَ في الجنةِ أهلَ

الغرفِ كما تراءَونَ الكوكبَ الدريَّ الغاربَ في الأفقِ الطالع، في تفاضلِ أهلِ الدرجات"، فقالوا: يا رسولَ اللهِ أولئكَ النبيون؟! فقال ﷺ: "بلى والذي نفسي بيدِهِ وأقوامٌ آمنوا باللهِ وصدَّقوا الرسل"، ورواهُ الترمذيُّ وقال: حسنٌ صحيح.

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

بعد أن يُفصَلَ بين الخلائقِ يومَ القيامةِ يُساقُ الكفارُ أهلُ النارِ إلى النارِ فيسألُهم خزنةُ جهنم: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ} [الزمر: ٧١].

ويكررونَ عليهمُ السؤال: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)} [الملك].

ثم يُلقى بهِم في جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفَّفُ عنهم من عذابِها، وعند ذلك يبدأُ صراخُهُم واستغاثتُهُم وتوسُّلُهُم إلى اللهِ -عزَّ وجلَّ- ليخرجَهم منها، {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}، ويأتيهمُ الجوابُ والتقريع: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)} [فاطر].

أيها الإخوة؛

لقد {بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ}.

وتتابعَ الأنبياءُ والمرسلونَ على مرِّ العصور.

{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ} [المؤمنون: ٤٤].

{وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)} [فاطر].

وبقيَ الأمرُ كذلكَ إلى أن ختمَ اللهُ تعالى الأنبياءَ والرسلَ بمحمدٍ ﷺ فكان محمدٌ ﷺ هو البشيرُ النذيرُ، وهو الشاهدُ على أُمتِّهِ بما بلَّغهم مِن رسالةِ اللهِ سبحانَه، وهو النذيرُ للبشريةِ كلِّها إلى يومِ القيامة.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦)} [الأحزاب].

أيها الإخوةُ المؤمنون،

ولكن ما هي المهمةُ التي جاءَ بها الأنبياءُ مبشرينَ ومنذرين؟!

ما هو الأمرُ الذي دعا إليهِ محمدٌ ﷺ وسائرُ الأنبياءِ من قبلهِ والذي أنذرَ بهِ المكذبينَ الكافرين، وبشَّرَ المؤمنينَ المتقين؟!

يقولُ اللهُ تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)} [الفتح].

الإيمانُ باللهِ تعالى وبرسولِهِ محمدٍ ﷺ، ثم نصرةُ اللهِ تعالى بنصرةِ دينِهِ وتطبيقِ شرعِه، وتعظيمُ اللهِ تعالى وتوقيرُهُ بطاعتِهِ وحدَهُ ونبذُ ما سواهُ من الأندادِ والطواغيت، ثم تعظيمُهُ وتنزيهُهُ عن الشَّريك، في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ عملٍ وفي كلِّ أمر.

{لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}.

أيها الإخوة؛

والآنَ ما هو الإيمانُ المطلوبُ والمقبولُ عندَ اللهِ -عزَّ وجلَّ- والذي يُدخلُ صاحبَهُ الجنةَ وينجيهِ مِن النار؟

الإيمانُ المطلوبُ هو التصديقُ الجازمُ والإقرارُ الصادقُ بأنَّ الله تعالى هو وحدَهُ الإلهُ المعبودُ وهو وحدَهُ الربُّ المطاع، ونبذُ ما سوى اللهِ مِن الأندادِ والطاغوت.

فلا يتحققُ الإيمانُ الصادقُ إلا بالكفرِ بالطاغوت، والطاغوتُ هو كلُّ مَن عُبِدَ من دونِ اللهِ وقَبِلَ لنفسِهِ أن يُعبدَ أو يُطاعَ من دونِ اللهِ ولو بعملٍ واحدٍ أو أمرٍ واحد.

بهذا بُعثتِ الأنبياءُ والرسلُ وبهذا جاءَ الإنذارُ الشديدُ والوعيدُ والتهديدُ مِن اللهِ القويِّ القهارِ -لكلِّ مَن عبدَ غير اللهِ أو شرَّعَ من دون اللهِ أو قَبِلَ لنفسِهِ أن يُطاعَ من دون اللهِ أو دعا الناسَ لطاعتِهِ وعبادتِهِ من دونِ الله.

بهذا جاءَ الإنذارُ والوعيدُ الشديدُ من اللهِ تعالى.

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦)} [ص].

"{الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦)} [ق].

{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)} [النحل].

{هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)} [إبراهيم].

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧)} [فصلت].

{وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)} [القمر].

أيها الناسُ؛

احذروا مِن إنذارِ الله، واعتبروا بما حلَّ بِمَن قبلَكُم. فهذهِ آياتُ اللهِ تعالى البيناتُ بين أيديكُم مبثوثةٌ في الأرضِ وفي السماء، وهذه مصارعُ الغابرينَ شاهدٌ على بطشِ اللهِ وتنكيلِ اللهِ فهل أنتم معتبرون؟!

{ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)} [يونس].

اللهمَّ اجعلنا مِن المؤمنينَ الناجين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين.

الخطبةُ الثانية

الحمدُ للهِ وكفى وسلامٌ على عبادِهِ الذين اصطفى {آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ}، أحمدُهُ عزَّ وجلَّ وأشهدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أَنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ النذير، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وبعد؛

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠)} [ص]

هذه هي القضيةُ وهذا هو الإنذار.

اللهُ تعالى خالقُكُم وخالقُ الوجود، فهو ربُّكُم وربُّ الوجود، إلهُكُم وإلهُ الوجود. لا إلهَ غيرُهُ ولا ربَّ سواه.

هذه هي القضية، فأول ما يُطلبُ مِن الإنسانِ حين الدخولِ في الإسلامِ أن يشهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ ﷺ، فإذا شهدَ طُلبَ منهُ الالتزامُ بأوامرِ اللهِ واجتنابُ نواهيه، فإنْ فعلَ فقد صدقَ في شهادتِهِ وحققَ مرادَ ربِّهِ فاستحقَّ تكريمَ اللهِ ورضوانَه، ومَن شهدَ ولم يلتزم بأوامرِ اللهِ ولم يجتنب نواهيهِ -كما هو حالُ معظمِ مَن ينتسبونَ إلى الإسلامِ اليوم- فقد كانت شهادتُهُ شهادةَ زورٍ ولم يحقق مرادَ اللهِ سبحانَهُ فاستحقَّ بذلك غضبَ اللهِ وسخطَ الله.

أيها الإخوة؛

والآنَ انظروا إلى واقعِ حالِكُم، أين أنتم مِن هذا النبأِ العظيمِ الذي أنتم عنهُ معرضون؟!

أين أنتم مِن طاعةِ اللهِ في حياتِكُمُ الفرديةِ؟! أين أنتم من طاعةِ اللهِ في حياتِكُمُ الجماعية؟! كم إلهًا تعبدونَ معَ اللهِ؟! كم ربًّا تطيعونَ من دونِ الله؟!

لن أُعدِّدَ لكم هؤلاء الآلهةَ وتلكمُ الأربابَ ولكني سأتركُ لعقولِكُم أن تفكر، ولعيونِكُم أن تبصر، فهذا كتابُ اللهِ الحكَمُ الفصل، وهذا الواقعُ الملموسُ الذي تعيشونَه، اعرضوا أنفسَكُم على كتابِ اللهِ لتروا أين أنتم مِن كتابِ الله؟! أين أنتم مِن لا إلهَ إلا الله؟! أين أنتم مِن الاقتداءِ برسولِ اللهِ ﷺ؟! هل تعظِّمون الله؟! هل توقِّرون الله؟! هل تسبِّحون الله؟! هل توحِّدون الله؟!

ألا تخافون من إنـذارِ الله؟! ألا تخافونَ من عـذابِ اللهِ وبطشِ الله؟! مـاذا ستقولون للهِ غـدًا يومَ لقـاءِ الله؟! أم إنكم لا تؤمنـون بلقـاءِ الله؟! أم إنكم لا تصدِّقون بإنذارِ الله؟!

ألم يأنِ لكُم أن تعودوا إلى الله؟! ألم يأنِ لكُم أن تطيعوا الله وحدَهُ وتنبذوا ما سواهُ مِن الأندادِ والطواغيت؟! انظروا إلى ما حلَّ بغيرِكُم من الأممِ الغابرةِ واعتـبروا إن كنتُم معتـبرين، {فَكَـأَيِّن مِّن قَرْيَـةٍ أَهْلَكْنَاهَـا وَهِيَ ظَالِمَـةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُـوبُ الَّتِي فِي الصُّـدُورِ (٤٦) وَيَسْـتَعْجِلُونَكَ بِالْعَـذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَـةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَـةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّـاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَـذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِـرَةٌ وَرِزْقٌ كَـرِيمٌ (٥٠) وَالَّـذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَـا مُعَـاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)} [الحج].

اللهمَّ إنا نعوذُ برضاكَ من سخطِكَ وبمعافاتِكَ من عقوبتِكَ وبكَ منك لا نحصـي ثنـاءً عليـك أنت كمـا أثـنيت على نفسِـك، اللهمَّ إياك نعبـدُ ولـك نصـلي ونسـجدُ وإليـك نسـعى ونحفـد، نرجـو رحمتَـكَ ونخشـى عـذابَكَ إنَّ عذابَكَ الجدَّ بالكفارِ ملحق.

اللهمَّ اغفرْ للمؤمنينَ والمؤمنات.

اللهمَّ اجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا.

اللهمَّ ارحم أمةَ الإسلام.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على محمدٍ وعلى آلهِ وصحبِهِ وسلم تسليمًا كثيرًا، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

خطبةُ عظمةِ اللهِ في خلقِ السماوات والأرض

الجمعة: ١٢ ربيعٍ أول ١٤١٥هـ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستهديهِ ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ لهُ ومَن يضلل فلا هاديَ له، أحمدُهُ -عزَّ وجلَّ- وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ اختارَهُ لتبليغِ رسالتِهِ فبلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ ونصحَ الأمةَ وتركها على المحجّةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالك، فصلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومن سارَ بسيرِهم واستنَّ بسننِهم مخلصًا إلى يومِ الدينِ وبعد:

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

يقولُ اللهُ تبارك وتعالى في كتابِهِ العزيزِ وهو أصدقُ القائلين:

{قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ

اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)} [الرعد]، صدقَ اللهُ العظيم.

أيها الإخوة؛

رُويَ فِي الصحيحينِ عن أبي موسى الأشعريِّ -رضيَ اللهُ عنه- أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: "إنَّ مثلَ مَا بعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ".

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

هذا الخلقُ الهائلُ الماثلُ لذوي البصائرِ والأبصار، خلقُ السمواتِ والأرضِ وما بثَّ فيهما مِن دابّة، وتعاقبُ الليلِ والنهار، هذا الخلقُ الرحيبُ الرهيب، هو الحقيقةُ الكبرى البدهيّةُ التي تقرعُ الحواسَّ فتبعثُ العقولَ المتبلّدةَ على التفكيرِ والإدراك، لتصلَ بها إلى الحقيقةِ العظمى وهي أنَّ الخالقَ سبحانَهُ خالقَ الأرضِ والسماء، هو وحدَهُ ربُّ السمواتِ والأرض، هو مالكُها وسيدُها المطاع، الذي أتقنَ صنعَها ويدبرُّ أمرَها، {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} ولهذا كررَ القرآنُ الكريمُ هذه الحقيقة كثيرًا، لعل البليدَ يفكر، ولعل الضالَّ يهتدي، ولعل العاقلَ يدركُ ويعتبر.

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)} [آل عمران].

{وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)} [يس].

أيها الإخوة؛

ولكنَّ بعضَ العقولِ البليدةِ ترفضُ التفكير، وتأبى النور، والعيونُ العميُ لا تبصرُ الحقيقة، وتحبُّ أن تبقى في الظلام، وشتانَ شتانَ بين النورِ والظلام.

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} [الرعد: ١٦].

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

وهنا يسألُ الحقُّ -جلَّ وعلا-: {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ} [الرعد: ١٦].

فهو سؤالٌ لا ليجيبوا عليه، إنما ليسمعوا الجوابَ ملفوظًا كما رأوهُ مشهودًا في آفاقِ الكونِ الرحيب. قل: الله! نعمْ! اللهُ وحدَهُ هو ربُّ السمواتِ والأرض، ويأتي بعد ذلك السؤالُ المترتبُ على هذه الحقيقة، {قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} [الرعد] وهم

فعلًا قد اتخذوا أولئكِ الأولياءَ مِنْ دونِ الله، فكيف تفعلونَ ذلك؟! أفلا تعقلون؟!

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} [الرعد: ١٦].

{مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥)} [الصافات]، {أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)} [الذاريات].

أم أَنَّ هؤلاء الشركاءَ الذين تعبدونَهم وتطيعونَهم مِن دونِ اللهِ قد خلقوا مخلوقاتٍ كالتي خلقها الله؟! فتشابهت عليهِم فلم يدروا أيُّها مِن خلقِ اللهِ وأيُّها مِن خلقِ الشركاء؟! فهم إذن معذورونَ في عبادةِ هؤلاء الشركاءِ وطاعتِهم؛ لأنَّ لهم مِن صفاتِ القدرةِ على الخلقِ ما يستحقون معها العبادةَ والطاعة!

إنه بلا شكٍّ تهكّمٌ مرٌّ على هؤلاء الذين يَرونَ ويعترفون أنَّ كلَّ شيءٍ مِن خلقِ اللهِ ومع ذلك يعبدون معه آلهةً مِن البشرِ أو الحجرِ لا يملكونَ لأنفسِهم نفعًا ولا ضرًّا.

إنهُ العمى الذي يصدُّهُم عن رؤيةِ الحقِّ الواضح، والظلماتُ التي تلفُّهُم وتكفُّهُم عن إدراكِ الحقِّ المبين، والذي يحسُّ وجودَهُ ويرى أثرَهُ كلُّ مَن في السمواتِ والأرض.

ليس في الحقِّ خفاءٌ إنما ينكرُ الحقَّ ويعمى مَن كفر.

{قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)} [الرعد].

{قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [يونس: ٣٤].

{أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} [الرعد: ١٧].

{هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ} [الروم: ٤٠].

أيها الناس؛

عودوا إلى ربِّكُم، فالحقُّ أبلجُ والباطلُ لجلج {فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢)} [يونس]؟!

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين.

الخطبةُ الثانية

الحمدُ للهِ وكفى {وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: ٥٩] ؟! أحمدُهُ -عزَّ وجلَّ- وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ النذير، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وبعد،

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

{أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)} [الرعد].

مَنِ الذي ينزلُ الماءَ مِنَ السماءِ؟! أليس هو الله؟!

ومَنِ الذي ينزلُ الحقَّ على رسلِهِ ليهتديَ بهِ الناس؟! أليس هو الله؟!

نعمْ! إنَّ الماءَ لينزلُ مِنَ السماءِ فتسيلُ بهِ الأوديةُ بقدرِها، كلٌّ بحسبِ طاقتِهِ ومقدارِ حاجتِه، وإنَّ الرسلَ لتبلِّغُ الحقَّ للناس، فتستقبلُهُ القلوبُ كلٌّ بحسبِ طبيعةِ استعدادِهِ وطاقتِه؛ فالقلبُ المؤمنُ يستقبلُهُ بغيرِ ما يستقبلُهُ بهِ القلبُ الأعمى الكافر. وتسيلُ الأوديةُ بالماءِ ويطفو الزبدُ والغثاءُ على وجهِ الماءِ حتى إنَّ الزبدَ ليحجبُ الماءَ في بعضِ الأحيان، هذا الزبدُ رابٍ منتفخ، ولكنهُ في حقيقتِهِ غثاء، والماءُ ساربٌ ساكنٌ هادئ، ولكنهُ الماءُ الذي يحملُ الخيرَ والحياةَ والنَّماء.

وهذا يقعُ كذلك في المعادنِ التي تُصهرُ وتذابُ لتُصاغَ منها الحُلي، فأثناء الصهرِ يطفو الخبثُ والزبدُ وقد يحجبُ المعدنَ الأصيل، ولكنهُ خبثٌ زائلٌ سرعانَ ما يذهبُ ويبقى المعدنُ في نقائِهِ وصفائِه؛ ذلك مثلُ الحقِّ والباطلِ في هذهِ الحياةِ الدنيا الفانية. الباطلُ يطفو ويعلو وينتفخُ ويبدو رابيًا طافيًا في نظرِ الناسِ ولكنهُ كالزبدِ أو الخبثِ سرعانَ ما يذهبُ جفاءً مطروحًا لا حقيقة لهُ ولا تماسكَ فيه، والحقُّ الهادئُ يظلُّ سائرًا هادئًا ينتفعُ بهِ الناسُ الذين صفتْ قلوبُهم واستقامت بصائرُهم وتنوَّرتْ مداركُهم.

{وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

أيها الإخوةُ المؤمنون، وحِّدوا الله.

لا يغرنَّكم زبدُ الباطلِ وانتفاخُهُ مهما علا وطفا وارتفع، مهما زيَّنهُ الإعلامُ وزخرفتهُ الصحافة، واتَّبعَهُ الضالونَ والمضلون، أو قامتْ على رغوتِهِ دولٌ كبرى وانتصبتْ لهُ راياتٌ وأعلام. فهو سرعانَ ما يزولُ {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً} [الرعد: ١٧] وتمسكوا بالحقِّ مهما انزوى أو غارَ أو دفنَهُ الزبدُ والغثاء؛ فهو الحقُّ الذي يحيي النفوسَ كالماءِ الساكنِ تحت الرغوةِ المنتفخة، وكالمعدنِ الصريحِ النقيِّ المغمورِ بخبثٍ سرعانَ ما يزول.

أيها الإخوة؛

{كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ} [الرعد: ١٧]، {كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [الرعد: ١٧]، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)} [العنكبوت].

فأين همُ العالمونَ في هذا الزمان؟! أين همُ الذين لم يبهرْهُمُ انتفاخُ الطاغوتِ وزبدُ الطاغوت؟!

أين همُ الذين تمسكوا بالحق، واعتصموا بحبلِ اللهِ وتوكلوا على الله، وعلموا أنَّ الدنيا دارُ فناء، والآخرةَ هي دارُ البقاء.

{مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الإسراء: ١٥].

فمنِ استجابَ للهِ فلهُ الحسنى وزيادة، ومن لم يستجب للهِ فأولئك لهم سوءُ الحسابِ ومأواهم جهنمُ وبئسَ المهاد.

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

اذكروا الله، وتذكَّروا جهنمَ وأنتم تمرُّونَ في هذه الأيامِ الحارة، واستعيذوا من فيحِ جهنمَ وحرِّها وزمهريرِها وأعدّوا {لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [إبراهيم: ٤٢]، {يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢)} [غافر]، { ... يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦)} [المعارج].

اللهمَّ إنا نعوذُ برضاكَ من سخطِكَ وبمعافاتِكَ من عقوبتِكَ وبك منك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسِك.

اللهمَّ إنا نعوذُ بكَ من فيحِ جهنمَ وحرِّها وزمهريرِها.

اللهمَّ ردَّنا إلى دينِكَ ردًّا جميلًا.

اللهمَّ اغفر للمؤمنينَ.

اللهمَّ اجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا.

اللهمَّ ارحم أمةَ الإسلام.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على محمدٍ وسلم تسليمًا كثيرًا.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

خطبة: الحكمةِ من خلقِ الإنسان

الجمعة ١٨ ربيع أول ١٤١٥هـ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستهديه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ لهُ، ومَن يضلل فلا هاديَ له، أحمدُهُ -عزَّ وجلَّ-، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ اختارَهُ لتبليغِ رسالتِهِ فبلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ ونصحَ الأمةَ وتركها على المحجّةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالك، فصلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومَن سارَ بسيرِهم واستنَّ بسننِهم مخلصًا إلى يومِ الدينِ، وبعد؛

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

{هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)} [الإنسان] صدقَ اللهُ العظيم.

أيها الإخوة؛

روى الإمامُ مسلمٌ بسندِهِ عن أبي مالكٍ الأشعريِّ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "كلُّ الناسِ يغدو فبائعٌ نفسَهُ فموبقُها أو معتقُها".

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

{هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١)} [الإنسان]؟!" إنهُ سؤالُ استفهام، ولكنهُ سؤالُ تقريرٍ يؤكدُ الحقيقةَ الكبرى، أنَّ اللهَ تعالى خالقَ الوجودِ هو الذي خلقَ الإنسان، وهذه حقيقةٌ كان يقرُّ بها المشركونَ الأولونَ ولا يزالون.

{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: ٨٧]؟! ولكنَّ السؤالَ هنا يبدأُ بلمسةٍ تضربُ أوتارَ القلبِ البشريِّ الذي تستقرُّ فيهِ هذهِ الحقيقة، تبدأُ لمسةُ السؤالِ بضربِ هذهِ الأوتارِ لتثيرَ في القلبِ التساؤل: أين كان قبلَ أن يكون؟! مَنِ الذي أوجدَهُ وجعلَهُ شيئًا مذكورًا في هذا الوجودِ بعد أن لم يكن لهُ ذكرٌ ولا وجود؟!

{هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١)} [الإنسان]؟!

ثم تأتي اللمسةُ الأخرى لتضربَ أوتارَ القلبِ فتكشفَ عن حقيقةِ أصلِ هذا الإنسانِ ونشأتِهِ وحكمةِ اللهِ تعالى في خلقِهِ وتزويدِهِ بطاقاتِهِ ومداركِه، وتذكرَهُ بذلك حتى يعرفَ أصلَهُ ويرى تكريمَ اللهِ تعالى له.

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)} [الإنسان].

فأصلُ الإنسان، هذهِ النطفةُ الأمشاج، المكونةُ من أخلاطٍ شتى.

{فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)} [الطارق].

وآلةُ الإدراكِ عند الإنسان: هي السمعُ والبصرُ والفؤاد.

{فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان: ٢].

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)} [النحل].

وبين هذه النشأةِ من هذه النطفةِ المهينةِ إلى أن يصبح الإنسانُ في أحسنِ تقويمٍ شبابًا قويًا قادرًا على الكسبِ والاختيارِ تمرُّ بالإنسانِ مراحلُ كثيرةٌ تتجلّى فيها عنايةُ اللهِ الرحيمِ ورعايتُهُ لهذا الإنسانِ الضعيف.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)} [المؤمنون].

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤)} [الروم].

ثم تأتي لمسةٌ ثالثةٌ تريهِ طريقَ الهدى والضلالِ وتستحثُّهُ على سلوكِ طريقِ الهدى وتحذرُهُ من طريقِ الضلالِ وتتركُ لعقلِهِ الواعي المدركِ بعد ذلك أن يختارَ مصيرَهُ بنفسِه، ويتحملَ تبعةَ هذا الاختيار.

{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)} [الإنسان].

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

وهكذا يبدأُ السؤالُ للتذكيرِ بنشأةِ الإنسان، وتقديرِ اللهِ تعالى في هذهِ النشأةِ على أساسِ الابتلاءِ ثم يأتي الجوابُ ببيانِ عاقبةِ الابتلاء، فيوحي بذلك البدءِ وهذا الختامِ بما وراءَ الحياةِ كلِّها مِنْ تدبيرٍ وتقدير، لا ينبغي معه أن يمضيَ الإنسانُ في استهتارِهِ غيرَ واعٍ ولا مدرك، وهو مخلوقٌ مبتلى، وموهوبٌ نعمةَ الإدراكِ لينجحَ في الابتلاء.

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)} [الملك].

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

وهكذا خلقَ اللهُ تعالى الإنسانَ بقصد، وكلَّفَهُ بمهمةٍ وابتلاهُ بها، بعد أن هداهُ إليها، وجعلَ مصيرَهُ متوقفًا عليها، ثم زوَّدَهُ بآلةِ الفهمِ والإدراكِ والقدرةِ على تحقيقِ هذهِ المهمة، وربطَ خيوطَ حياتِهِ بمحورِ الوجودِ كلِّه، وهيَّأَ لهُ الظروفَ التي تجعلُ بقاءَهُ وتحقيقَ مهمتِهِ أمرًا ممكنًا وميسورًا.

وهو في كلّ ذلك موضوعٌ تحتَ مراقبةِ اللهِ العليمِ الخبير، ويبقى كذلك حتى تنتهيَ فترةُ ابتلائِهِ على هذهِ الأرضِ، ثم يُخرجَ منها ليعودَ إلى ربِّهِ وخالقِهِ العظيمِ ليسألَهُ ويحاسبَهُ على أعمالِهِ: {إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨)} [العلق].

{ ... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)} [النور].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين.

الخطبةُ الثانية

الحمدُ للهِ وكفى {وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: ٥٩]؟!، أحمدُهُ عزَّ وجلَّ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ البشيرُ النذيرُ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وبعد؛

أيها الإخوةُ المؤمنون؛

لقد خلقَ اللهُ تعالى الإنسانَ، هل مِن مَن ينكرُ هذهِ الحقيقة؟!

البشرُ في معظمِهم وعلى مرِّ العصورِ يقرُّونَ بهذهِ الحقيقة، ولكنَّ هناك سؤالًا يلازمُ هذهِ الحقيقة، هو:

هل خلقَ اللهُ تعالى الإنسانَ ليسير على هواه؟! أم كلَّفَهُ بمهمةٍ معينةٍ ميزَهُ بها عن سائرِ المخلوقاتِ وسيسألُهُ عنها؟

هل خُلقَ الإنسانُ عبثًا ولهوًا وتسلية؟! وتُركَ هملًا وسُدًى من غيرِ تكليفٍ ومن غيرِ حسيبٍ ولا رقيب؟!

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)} [المؤمنون].

{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩)} [القيامة].

نعمْ! هذا الإنسانُ مخلوقٌ لخالقٍ عظيمٍ حكيم، لم يُخلق عبثًا ولم يُتركْ سُدًى إنما خُلقَ وكُلِّفَ بمهمةٍ عُظمى يتوقفُ عليها مصيرُهُ في الدُّنيا والآخرة، في هذه الحياةِ الدُّنيا وبعد الموتِ والبعثِ والنشور.

ولكن ما هي هذهِ المهمةُ الخطيرةُ التي يتوقفُ عليها المصير؟!

إنَّ معرفةَ هذه المهمةِ إنما يكونُ مِن اللهِ الخالقِ العظيمِ سبحانَهُ الذي خلق الإنسانَ وكلَّفَهُ بالمهمة.

فالأمرُ الأول المطلوبُ مِن الإنسانِ أن يعترفَ ويقرَّ أَنَّ اللهَ تعالى هو وحدَهُ الذي يتلقى منه الإنسانُ المعرفةَ فهو {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق]، هو خالقُهُ وهو الذي كلَّفَهُ وابتلاهُ وهو الذي سيحاسبُهُ ويسألُهُ ثم يُدخلُهُ الجنةَ أبدًا أو يحرقُهُ في جهنمَ أبدًا، فهو الذي يعرِّفُهُ مهمَّتَه.

أيها الإخوة؛

والإقـرارُ بهذه الحقيقـةِ ليس مجردَ كلامٍ يُقـالُ بـل هـو عهـدٌ مـع اللهِ يُجسَّـدُ عمليًا في واقعِ الحياة، وتظهرُ آثارُهُ على الأقوالِ والأفعالِ والتصرفات، والذي يـدلُّ على صـدقِ الوفـاءِ بهذا العهـدِ هـو أخـذُ أوامـرِ اللهِ تعـالى أو اجتنـابُ نواهيـهِ باستسـلامٍ من غـير نقـاشٍ ودون نظـرٍ إلى مصـلحةٍ أو منفعـة، بـل بعبوديةٍ وذُلٍّ وخضوعٍ للمعبودِ المطاعِ سبحانَهُ وتعالى حتى يرضى. فرضاهُ وحدَهُ هو الغايةُ العظمى التي تُنجي مِن النارِ وتُدخلُ الجنة.

وهـذا هـو مـدلولُ لا إلـهَ إلا اللهُ محمـدٌ رسـولُ الله ﷺ، والـتي هي مفتـاحُ الجنةِ ولا يدخلُ الإنسانُ في الإسلامِ إلا إذا أقرَّ بها.

والإقرارُ بهذهِ الحقيقةِ إنما يكونُ مِن الأفرادِ ويكونُ مِن الجماعة.

فهنـاك العبوديـةُ والطاعـةُ الفرديـةُ والـتي تظهـرُ في الصـلاةِ والصيامِ والزكـاةِ والحجِّ وغيرِها مِن القرباتِ التي يقومُ بها الفرد.

وهناك العبوديةُ والطاعةُ الجماعيةُ والتي لا يتأتى للفردِ القيامُ بها إلا ضمنَ الجماعةِ، وهي مطلوبةٌ مِن الجماعةِ بوصفِها جماعةً تربطُها علاقاتٌ دائمة.

فالعلاقـاتُ بين النـاسِ مِن بيـعٍ وشـراءٍ وزواجٍ ومعـاملاتٍ وعقوباتٍ، ومِن شـكلِ الحكمِ وتنصـيبِ الحاكمِ أو خلعِـهِ، والعلاقـةِ بين الأمـةِ وغيرِهـا مِن الأممِ، إنما حدَّدها اللهُ تعالى كما حدَّدَ الصلاةَ والزكاةَ، وجعلَ تطبيقَها عبادةً وعبوديةً لهُ وحدَهُ لا غيرَه.

وهـذا هـو مـدلولُ نظامِ الخلافةِ في الأرض؛ فالخلافةُ هي تجسيدُ العبوديةِ والطاعةِ الجماعيةِ للهِ تعالى في الأرض.

وقد قال اللهُ تعالى للملائكةِ قبل أن يخلقَ الإنسان:

{ ... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)} [البقرة].

فهذه هي مهمةُ الإنسانِ في الأرضِ أن يُحقق العبوديةَ للهِ تعالى وحدَهُ بتطبيقِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيه، وتطبيقِ شريعتِهِ التي حدَّدتِ العلاقاتِ بين الناس. وهذا هو موضوعُ ابتلاءِ الإنسانِ وموضعُ محاسبتِهِ وجزائِه.

فهل حقَّقَ الإنسانُ هذهِ المهمة؟! هل جسَّدَ العبوديةَ للهِ في الأرضِ على مرِّ العصور؟! هذا ما يحتاجُ إلى تفصيلٍ في جُمَعٍ قادمةٍ -إن شاءَ الله-، ولكننا هنا نتساءلُ ونلفتُ النظر، أين البشريةُ اليومَ مِن أوامرِ الله؟!

أين تحقيقُ العبوديةِ للهِ تعالى في الأرض؟!

وهل اليومَ توجدُ في الأرضِ عبوديةٌ للهِ أم عبوديةٌ للطاغوت؟!

أيها المسلمون، أيها المؤمنون؛ وحِّدوا الله.

لقد استطاعَ الكفارُ والمشركونَ مِن الصليبيينَ وأتباعِهم تحطيمَ نظامِ الخلافةِ في أوائلِ هذا القرنِ فألغَوا بذلك نظامَ العبوديةِ والطاعةِ للهِ مِن الحياة، ثم ركَّزوا ذلك بمحاربةِ مَن يدعو لذلك، لتخويفِ المسلمينَ مِن المطالبةِ بذلك.

ثم ركَّــزوا العبوديــةَ في الأرضِ للطــاغوتِ مِن دون اللهِ، فأوجــدوا الأممَ المتحــدةَ ومجلسَ الأمنِ والمنظمــاتِ المنبثقــةَ عن ذلــك مِن أجــلِ أن تكــون الطاعــةُ لهم مِن دونِ الله، والعبوديــةُ لطــواغيتِهم من دون الله؛ فصــارَ تطــبيقُ الشــرعيةِ الدوليــةِ والمطالبــةُ بها هي العبــادةَ الــتي يتقربــونَ بها إلى الطــاغوت، وصــارتِ الأفكــارُ الجاهليةُ مِن قوميةٍ واشــتراكيةٍ وديمقراطيةٍ هي التقوى الــتي يتقربونَ بها إلى الطاغوتِ ويتَّقونَ بها شرَّه، فمتى تصحو البشريةُ مِن ضلالِها ومتى تعودُ إلى ربِّها ورُشدِها؟!

مــتى يــدركُ الإنســانُ أنــهُ مبتلى مِن الله، وأنــهُ في قبضــةِ اللهِ {الَّــذِي بِيَــدِهِ الْمُلْكُ}، وإليهِ المرجعُ والمآب، {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣)} [الأعلى].

وماذا سيقولُ الإنسانُ لربِّهِ عندما يعودُ إليه ويقفُ بين يدَيه؟

{يَا أَيُّهَــا الْإِنسَــانُ مَــا غَــرَّكَ بِرَبِّــكَ الْكَــرِيمِ (٦) الَّــذِي خَلَقَــكَ فَسَــوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)} [الانفطار].

{يَا أَيُّهَــا الْإِنسَــانُ إِنَّــكَ كَــادِحٌ إِلَىٰ رَبِّــكَ كَــدْحًا فَمُلَاقِيــهِ (٦)} [الانشقاق].

{يَا أَيُّهَــا النَّــاسُ اتَّقُــوا رَبَّكُمْ وَاخْشَــوْا يَوْمًــا لَّا يَجْزِي وَالِــدٌ عَن وَلَــدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣)} [لقمان].

اللهمَّ ردَّنا إلى دينِكَ ردًّا جميلًا.

اللهمَّ اجعلنا مِن أهلِ طاعتِكَ ورضاك.

اللهمَّ اغفر للمؤمنينَ والمؤمنات.

اللهمَّ اجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا.

اللهمَّ ارحم أمةَ الإسلام.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلم تسليمًا كثيرًا.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.


العاديات